البابا شنوده الثالث

الوسائط الروحية

The Spiritual Means
by H.H. pOPe Shenouda III

Ist. Print	الطبعة الأولى
Nov.	نوفمبر ١٩٩٢م
1992	
Cairo	القاهرة

مقدمة

الروح القدس يقود أبناء الله فى حياتهم الروحية (رو ٨ : ١٤) ٠ و هو يقودهم من خلال وسائط معينة ، إن سلكوا فيها يشتركون مع الروح القدس فى العمل ، أو يدخلون من شركة الروح القدس (٢كو١٣ : ١٤) ٠

و نسمى هذه الوسائط : الوسائط الروحية ، أو وسائط النعمة ، أى الوسائط التى تعمل النعمة من خلالها ، أو تعمل بها ٠٠

وقد حدثتك فى هذا الكتاب عن ١١ واسطة من الوسائط الروحية ، و هى :

الصلاة ، الكتاب المقدس ، قراءة سير القديسين ، التأمل ، التداريب الروحية ، محاسبة النفس ، الاعتراف ، التناول ، الصوم ، العطاء ، الخدمة ٠٠٠

و هذه الوسائط لازمة لكل إنسان٠

مهما ارتفع هذا الإنسان فى حياته الروحية ، فإنه لن يستغنى عنها ٠ فهى غذاؤه الروحى الدائم ٠ و إن بعد عنها ، أو قصر فى ممارستها ، فإن حرارته الروحية تفتر ، و يعرض نفسه لمحاربات خطيرة ٠٠

و مواد هذا الكتاب ثمرة لمحاضرات القيناها منذ الستينات ٠

سواء فى القاهرة أو الاسكندرية أو دمنهور ، و نشرت أجزاء منها فى مجلة الكرازة ، و فى جريدة وطنى ٠ و قد جمعناها كلها لتصدر فى كتاب ٠٠

و لا شك أن كل باب منها ، يمكن أن يصدر فيه كتاب ٠ و لكننا أردنا أن نقدم لك كل هذه الموضوعات مركزة ٠

حاول أن تتخذ كل هذه الموضوعات مجالاً للتدريب العملى ٠

و ليكن الرب معك ، يقتاد خطواتك إليه ٠

نوفمبر

البابا شنوده الثالث

الفهرس المجمل

صفحة

المقدمة	٥
البابا الأول : الصلاة	٧
البابا الثانى : الكتاب المقدس	٢٣
البابا الثالث : قراءة سير القديسين	٤٩
البابا الرابع : التأمل	٥٩
البابا الخامس : التداريب الروحية	٧٥
الباب السادس : محاسبة النفس	٨٥
الباب السابع : الإعتراف	٩٣
الباب الثامن : التناول	١٠٣
الباب التاسع : الصوم	١١٣
الباب العاشر :العطاء	١٢٣
الباب الحادى عشر : الخدمة	١٤١

الفهرست المفصل من ص١٥٨ إلى ص ١٦٠

الباب الأول

الصلاة

ما هى ؟

و كيف تكون ؟

الصلاة

ما هى؟ وكيف توصل إلى الله؟

ليست كل صلاة تعتبر واسطة روحية ، يمكن أن توصلك إلى الله ٠٠ هنا وأتذكر ما قيل عن إيليا النبى إنه " صلى صلاة " (يع ٥ : ١٧) كانت صلاة حقيقية ، استطاعت أن تغلق السماء و أن تفتحها ، و أن تقتدر كثيراً فى فعلها (يع ٥ : ١٦)٠

فما هى الصلاة إذن ؟ ما تعرفها ؟

الصلاة هى جسر يوصل بين الإنسان و الله ٠ شبهوها بسلم يعقوب الواصل بين السماء و الأرض (تك ٢٨ : ١٢) ٠ إنها ليست مجرد كلام ، إنما هى صلة ٠٠ هى صلتك بالله ، قلباً و فكراً ٠٠

* * *

الصلاة هى إحساسك بالوجود فى الحضرة الإلهية ٠

و بدون هذا الإحساس لا تكون الصلاة صلاة ٠٠ هى مشاعر قلب متجة إلى الله ، يشعر بوجود الله معه ، أو بأنه واقف أمام الله ٠ كما قال إيليا النبى " حى هو رب الجنود ، الذى أنا واقف أمامه " (١مل ١٨ : ١٥) ٠٠ و أمام الله ينسى الإنسان كل شئ ، و لا يبقى فى ذهنه سوى الله وحده ٠ و يتضاءل كل شئ ٠ و يصبح الله هو الكل فى الكل و ليس غيره ٠٠

* * *

الصلاة هى عمل القلب ، سواء عبر عنها اللسان أو لم يعبر ٠

هى رفع القلب إلى الله ٠ لأن القلب يتحدث مع الله بالشعور و العاطفة ، أكثر مما يتحدث اللسان بالكلام ٠ وربما يرتفع القلب إلى الله بدون كلام

لذلك فإن تنهد القلب أمام الله صلاة ٠ و حنين القلب إلى الله صلاة ٠ و عواطف الحب نحو الله صلاة ٠ فالصلاة هى الصلة بين الله و الإنسان ٠ و إن لم توجد هذه الصلة القلبية ، فلن ينفع الكلام شيئاً

* * *

إن أحببت الله تصلى ٠ و إن صليت تزداد حباً لله ٠ فالصلاة هى عاطفة حب ، نعبر عنها بالكلام ٠

نرى هذا الحب و هذه العاطفة بكل وضوح فى مزامير داود إذ يقول :

"يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر ٠ عطشت نفسى إليك " (مز ٦٣ : ١) ٠ " كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه ، هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله ٠ عطشت نفسى إلى الله ، إلى الإله الحى ٠ متى أجئ و أتراءى قدام الله " (مز ٤٣ : ١ ، ٢) ٠٠ إنه شوق إلى الله عطش إليك ٠ كما تشتاق الأرض العطشانة إلى الماء

كثيرون يصلون ، و لا يشعرون بتعزية ٠ لأن صلواتهم خالية من الحب ٠٠ مجرد كلام !

هؤلاء رفض الله صلواتهم ٠ و قال عنهم " هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ٠ أم قلبه فمبتعد عنى بعيداً " (أش ٢٩ : ١٣) ٠ و كرر السيد المسيح نفس التوبيخ بالنسبة إلى اليهود (مت ١٥ : ٨) (مر ٧ : ٦) إذن الخلط صلاتك بالحب ٠ و تكلم فيها مع الرب بعاطفة ٠ فالصلاة هى اشتياق النفس إلى

الوجود الله ٠ هى اشتياق المحدود إلى غير المحدود ، اشتياق المخلوق إلـــى خالقـــه ، و اشـــتياق الروح إلى مصدرها و إلى شبعها ٠٠

* * *

و الصلاة المقبولة هى التى تصدر من قلب نـقى ٠

فالكتاب يقول " ذبيحة الأشرار مكرهة الرب ، و صلاة المســتقيمين مرضـــاته " (أم ١٥ : ٨) (أم ٢١ : ٢٧) ٠ و قد رفض الرب صلاة الأشرار فقال لهم " حين تبسطون أيديكم ، أستر وجهى عنكم ٠ و إن أكثرتم الصلاة ، لا أسمع ٠ أيديكم ملآنة دماً " (أش ١ : ١٥) ٠ و من الناحيـــة الأخـــرى يقول الكتاب " طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها " (يع ٥ : ١٦)٠

إذن ماذا يفعل الخاطئ المثقل بآثامه ؟

يصلى ليساعده الله على التوبة ٠ و يتوب لكى يقبل الله صلاته ٠٠

يصلى و يقول : توبنى يا رب فأتوب : (أر ٣١ : ١٨) ٠ فالصلاة هى باب المعونة ، الذى يدخل منه الخاطئ إلى التوبة ٠ و قد قال ماراسحق " من قال إن هناك باباً آخر للتوبة غير الصلاة فهو مخدوع من الشياطين " ٠٠ إذن لا تنتظر حتى تتوب ثم تصلى !! إنما أطلب التوبة فى صلاتك ، مـــن ذلـــك الذى قال " بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً " (يو ١٥ : ٥)

* * *

الصلاة هى فتح القلب لله ، لكى يدخل و يطهره ٠

تذكرنا بصلاة العشار ، الذى رفع قلبه فى انسحاق أمام الله ، طالباً الرحمة (لـــو ١٨ : ١٣) ٠ و هكذا خرج مبرراً ٠ عليك إذن أن تصلى لكى تحصل على نقاوة القلب ، و أنـــت تقـــول للـــرب فـــى صلواتك : إنضح على بزوفاك فأطهر ، و اغسلنى فأبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠) ٠٠ أليس هـــو القائل " أعطيكم قلباً جديداً ، و أجعل روحاً جديدة فى داخلكم ٠٠ و أجعلكم تسلكون فى فرائضـــى " (خر ٣٦ : ٢٦ ، ٢٧) ٠٠ اطلب منه فى صلاتك تحقيق هذا الوعد ٠

* * *

الصلاة هى تدشين للشفتين و للفكر ، و هى تقديس للنفس ، بل هى صلح مع الله ٠٠

الإنسان الذى بينه و بين الله خصومة ، طبيعى أنه لا يتحدث معه ٠ لا يصلى ٠ لا يجد دالة للحديث مع الله ٠ فإن بدأ يصلى ، فمعنى هذا أنه يريد أن يصطلح مع الله ٠٠ و إذا صلى ، يســـتحى مـــن حديثه مع الله ، و يخجل من أن ينجس فكره الذى كان مع الله منذ حين ٠ يصل إذن إلى اســـتحياء الفكر ، و هذا ظاهرة روحية صحيحة ٠

و هكذا بالصلاة تبطل الأفكار الردية ، كلما داوم الإنسان على الصلاة ، و يدخل بها فى جورحى ، و يبعد عن قوات الظلمة ٠

الصلاة هى رعب الشياطين ، و أقوى سلاح ضدهم ٠

فالشيطان يخشى أن يفلت هذا المصلى من يده ٠ يخشى أن ينال بصلاته قوة يحاربه بها ٠ كما أنـــه يحسده على علاقته هذه مع الله ، التى حرم هو منها ٠٠ لذلك فالشيطان يحارب الصلاة بكل الطرق يحاول أن يمنعه بأن يوحى فإنسان بأن مشاغل كثيرة تنتظره وليس لديه وقت ، أو يشعره بالتعب و بثقل فى الجسد ٠ و إن أصر على الصلاة ، يحاول أن يشتت فكره ليسرح فى أمور عديدة ٠٠

* * *

أما أنت يا رجل الله ، فاصمد فى صلاتك مهما كانت الحروب ٠ وركز فيها فكرك و كل مشاعرك ٠

و كما قال الرسول " قاوموا ابليس فيهرب منكم " (يع ٤ : ٧) ٠ و تستسلم لأفكاره ٠ و اعـــرف أن محاولته منع صلاتك ، إنما تحمل اعترافاً ضمنياً منه بقوة هذه الصلاة كسلاح ضده ٠ فلا تلـــق

سلاحك ، بل حارب به ٠ واستمر فى الصلاة مهما شردت أفكارك ٠ و لا بد أن ييأس العدو من جهادك الروحى و يتركك ٠ كما أن النعمة لن تتخلى عنك ، بل ستكون معك ٠٠

* * *

و فى صلاتك ، فتح أعماق نفسك لتمتلئ من الله ٠

اطلب الله نفسه ، و ليس مجرد خيراته ٠ قل له كما سبق أن قال داود " طلبت وجهك ، و لوجهك يا رب التمس ٠ لا تحجب وجهك عنى " (مز ١٩٩) ٠ تأكد أن نفسك التى تشعر بنقصها ، ستظل فى فراغ إلى أن يكملها الله نفسه ٠ إنها تحتاج إلى حب أقوى من كل شهوات العالم ٠ و هى عطشانة ، و ماء العالم لا يستطيع أن يرويها (يو ٤ : ١٣) ٠

قل له يا رب : لست أجد سواك كائناً يفهمنى ٠

واطمئن إليه : افتح له قلبى ، و أحكى له كل أسرارى ، و أشرح له ضعفاتى فيسمعها و لا يحتقرها ٠ و أسكب أمامه دموعى ، و ابثه أشواقى ٠ أشعر معه أننى لست وحدى ، و إنما معى قلب يحتوينى و قوة تسندنى ٠٠ بدونك يا رب ، أشعر أننى فى فراغ ، و لا أرى لى وجوداً حقيقياً ٠ أنت هو عمانوئيل ، الله معنا ٠٠ روحى تشتاق إلى روحك الكلى ، تشتاق إلى ما هو أسمى من المادة و العالم و كل ما فيه ٠٠ نعم ، إن فى داخلى اشتياقاً إلى غير المحدود ، لا يشبعة سواك

* * *

هذه هى صلاة الحب ، و هى أعلى من مستوى الطلب ٠ فأنت قد تصلى ولا تطلب شيئاً ٠٠

قد تكون صلاتك شكراً على ما أعطاه لك الله من قبل ٠ تشكره على عنايته بك ، ورعايته لك ، و على ستره و معونته و كل إحساناته ، لك و لكل أصحابك و أحبابك ٠٠ و قد تكون صلاتك تسبيحاً لله ، مثل صلاة السارافيم " قدوس قدوس ، رب الجنود السماء و الأرض مملوءتان من مجدك و كرامتك " (أش ٦) ٠

قد تكون صلاتك مجرد تأمل فى صفات الله الجميلة ، كما فى صلوات القداس الغريغورى ، و كما فى كثير من المزامير و صلوات الساعات ٠ و كما قال القديس باسيليوس الكبير " لا تبدأ صلاتك بالطلب لئلا يظن أنه لولا الطلب ما كنت تصلى ٠ باسيليوس الكبير " لا تبدأ صلاتك بالطلب لئلا يظن أنه لولا الطلب ما كنت تصلى

* * *

اعتبر صلاتك مجرد تلذذ بعشر الله ، أو كما يسميها بعض الآباء " مذاقة الملكوت " ٠

مجرد وجودك فى حضرة الله متعة ، حتى لو لم تفتح فمك بكلمة واحدة ، حتى لو لم يتحرك ذهنك بأى فكر ، كطفل فى حضن أبيه و لا يطلب شيئاً سوى أن يبقى هكذا ٠٠

ترى ما الذى يمكننا أن نطلبه فى ملكوت السموات ؟! لا شئ طبعاً ٠ لأن هناك ى ينقصنا شئ حتى نطلبه ٠ إنما نتمتع بما قال عنه المرتل " ذوقوا و انظروا ما أطيب الرب " (مز ٣٤ : ٨) ٠ الصلاة هى مذاقة الملكوت هذا ٠ نذوق هنا على الأرض ما سوف نتمتع به فى السماء ٠٠٠

* * *

لذلك قيل عن الصلاة إنها طعام الملائكة ٠

هى طعام أرواحهم ، و هى غذاؤهم الذى يشبعهم ٠ و هكذا أيضاً بالنسبة إلى أرواح القديسين ، و كانت على الأرض غذاء للآباء المتوحدين و السواح ٠٠ و يتغذون بيها بمحبة الله و عشرته ، و متعة أرواحهم به ٠ كما قال داود النبى للرب " أما أنا فخير لى الالتصاق بالرب " (مز ٧٣ : ٢٨)

* * *

مبارك هو إلهنا الطيب الذى منحنا أن نصلى ٠ تواضع منه أن يسمح لنا بأن نتحدث إليه ٠

وتواضع منه أن يصغى إلينا ٠٠ من نحن التراب و الرماد ، حتى نقترب إلى الله ، و نقف أكاكه و نتحدث إليه ٠٠و نضم أنفسنا إلى صفوف الملائكة الواقفة أمام عرشه تسبحه و تبارك اسمه ، و تتبارك بالوجود فى حضرته ٠ حقاً إنه الخالق ، أن يسمح لنا نحن مخلوقاته بهذه الدالة : أن نكلمة و بسمعنا ٠

لذلك عار كبير و خطية كبرى ، أن تقول : ليس لدى وقت للصلاة ٠٠!!

هل يجرؤ العبد أن يقول إنه ليس لديه وقت للكلام مع سيده ؟! عجيب بالأكثر أن المخلوق ليس لديه وقت للحديث مع خالقه !! إن أموراً عديدة و تافهة تجد لها وقتاً ٠٠

و محادثات لا قيمة لها ، تجد لها وقتاً ٠ لماذا إذن تحتج بضيق الوقت فى الحديث مع الله ؟!

إن داود النبى كان ملكاً وقائداً و قاضياً للشعب ، و له أسرة كبيرة ، و مع ذلك يقول للرب " سبع مرات فى النهار و سبحت على أحكام عدلك " (مز ١١٩) " عشية و باكر ووقت الظهر " " و فى نصف الليل نهضت لأشكرك ٠٠ " وسبقت عيناى وقت السحر لأتلو فى جميع أقوالك " (مز ١١٩) المشكلة لا تكمن إذن فى الوقت ، إنما فى الرغبة ٠ إن كانت لديك رغبة فى الصلاة ، فلا شك ستجد وقتاً ٠ لماذا إذن تحتج بضيق الوقت فى الحديث مع الله ؟!

إن داود النبى كان ملكاً و قائداً و قاضياً لشعب ، و له أسرة كبيرة ، و مع ذلك يقول للرب " سبع مرات فى النهار سبحت على أحكام عدلك " (مز ١١٩) " عشية و باكر ووقت الظهر " " و فى نصف الليل نهضت لأشكرك ٠٠" " و سبقت عيناى وقت السحر ، لأتلو فى جميع أقوالك " (مز ١١٩) ٠

المشكلة لا تكمن إذن فى الوقت ، و إنما فى الرغبة ٠ إن كانت لديك رغبة فى الصلاة ، فلا شك ستجد وقتاً ٠

* * *

ثم يجب أن تعرف أن الصلاة بركة لك ٠ و أنك فيها تأخذ ، و لست تعطى ٠

هل تظن أنك تعطى الله وقتاً حينما تصلى ؟! و هل الله محتاج إليك أو إلى صلواتك ؟! أم أنت تأخذ فى الصلاة قوة و معونة و بركة ، و تأخذ لذة روحية و متعة بعشرة الله ، و حلاً لمشاكلك ٠٠ ؟!

يجب أن تتغير فكرتك عن الصلاة ، لكى تدرك تماماً أنك ضائع بدونها ، و أنها عكازك الذى تستند إليه ٠ إن عرفت هذا ، ستعتمد عليها كواسطة روحية أساسية فى حياتك ٠ و بعد ، أترانى استطيع فى هذا المقال أن أحدثك عن كل ما يتعلق بالصلاة ؟! كلا ، و إنما بعد كل هذا أتركك لتصلى ، و لكى تذكرنى أيضاً فى صلاتك

شروط الصلاة المقبولة
و تدابير على الصلاة

ليست كل صلاة مقبولة ، لأنه ليست كل صلاة ، صلاة ٠

فصلاة الفريسى المتكبر ، لم تكن مقبولة مثل صلاة العشار المنسحق ، الذى خرج مبرراً دون ذاك (لو ١٨ : ١٤) ٠ كذلك صلاة الذين أيديهم ملآنة دماً ، قال عنها الرب " حين تبسطون أيديكم ، أستر وجهى عنكم ، و إن أكثرتم الصلاة لا أسمع " (أش ١ : ١٥) ٠ و أيضاً صلاة المرائين (مت ٦) ، و الذين لعلة يطيلون صلواتهم (مت ٢٣ : ١٤) فقد تصلى صلاة ، فيتقدم واحد من الأربعة و العشرين قسيساً ، و يأخذها فى مجمرته الذهبية ، و يقدمها إلى الله رائحة بخور ٠٠ (رؤ ٥ : ٨

) بينما يصلى آخر طول النهار ، و يتعجب الملائكة أن شيئاً من صلوات هذا الإنسان لم يصعد إلى فوق !

* * *

فما هى إذن شروط الصلاة ؟!

الشروط كثيرة : نذكر منها أنها تكون بالروح ، فيها روح الإنسان يخاطب روح الله ، وقلبه يتصل بقلب الله ، هذه الصلاة التى من الروح و من القلب ، هى التى تفتح أبواب السماء ، و تدخل إلى حضرة الله ، و تكلمه بدالة ، و تتمتع به ، و تأخذ منه ما تريد ٠٠ بل هذه الصلاة هى التى تشبع الروح ، كما قال المرتل :

" باسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كما شحم و دسم " (مز ١٦٣ : ٤ ، ٥) ٠

هذه الصلاة التى من القلب ، هى التى يشعر فيها الإنسان بلقائه مع الله ٠ ففيها أما أن نصعد إليه ،أو ينزل هو إلينا ٠ المهم أن نلتقى ٠ أو هو الروح القدس يصعدنا فكراً و قلباً إلى الله ٠ و عن هذه الصلاة يقول القديسون إنها حلول السماء فى النفس ، أو أن النفس تتحول إلى سماء ٠ و هنا تتميز الصلاة بحرارة روحية

* * *

الصلاة التى يجب و عاطفة ، تكون صلاة حارة

الصلاة التى بالروح ، تكون حارة بطبيعتها ٠ أشعلها الروح النارى ٠ و لذلك قيل عن صلاة القديس مكسيموس و دوماديوس إنها كانت تخرج من أفواههم كشعاع من نار ٠ و هكذا كانت أصابع القديس الأنبا شنودة و رئيس المتوحدين حينما كان يرفع يديه فى صلاته ٠٠

* * *

الصلاة الروحانية تكون ايضاً بفهم و تركيز ٠

و بالتركيز تبعد عنها طياشة الفكر ٠ كذلك عنصر الفهم يجعل الذهن مركزاً ، و العاطفة أيضاً تركز الفكر ٠ أما الذى يصلى بدون قلب ، و بدون فهم ، و بدون عاطفة ، فبالضرورة تشرد أفكاره فى موضوعات متعددة لأن قلبه لم يتخلص بعد من الأهتمام بهذه العالميات ، و لا يزال متعلقاً بها حتى وقت الصلاة ٠ فلا تكون صلاته طاهرة ، لأنها ملتصقة بماديات العالم ٠

لهذا ، عندما سئل القديس يوحنا الأسيوطى " ما هى الصلاة الطاهرة ؟ " أجاب " هى الموت عن العالم " لأنه حينما يموت القلب عن أمور العالم ، لا يسرح فيها أثناء صلاته ، فتصبح صلاته طاهرة بلا طيش ٠

* * *

الصلاة الروحانية تكون ايضاً بخشوع أمام الله ٠

لقد سبق فتحدثنا عن الصلاة بحب لا يمنع الخشوع إطلاقاً ٠ محبتنا لله لا يمكن أن تنسينا هيبته ، و جلاله ووقاره ٠ فيمتزج حديثنا معه بالاحترام و التوقير ، و ندرك أدب الحديث مع الله ٠ و خشوعنا ليس هو خوف العبيد ، إنما هو توقير الأبناء لأبيهم و أى أب ؟ إنه ليس أباً على الأرض ، بل هو ابونا الذى فى السموات ، الذى تقف أمامه الملائكة فى هيبة " بجناحين يغطون و جوههم ٠ و باثنين يغطون أرجلهم " (أش ٦ : ٢) ٠ لهذا قال ماراسحق :

" إذا وقفت لتصلى ، كن كمن هو قائم أمام لهيب نار".

وإبراهيم أبو الآباء و الأنبياء قال " عزمت أن أكلم المولى ٠ و أنا تراب ورماد " (تك ١٨ : ٢٧) ٠ لذلك إن وقفت أمام الله ، قل له : من أنا يا رب حتى أقف أمامك ، أنت الذى تقف أمامك الملائكة ورؤساء الملائكة و الشاروبيم و السارافيم ، و كل الجمع غير المحصى الذى للقوات السمائية ٠ كيف أحشر نفسى وسط هذه الطغمات النورانية ؟!

* * *

خشوعك أمام الله هو خشوع الروح و خشوع الجسد أيضاً ٠

أما عن خشوع الجسد ٠ فيشمل الوقوف و الركوع و السجود ، بحيث لا تقف وقفة متراخية و لا متكاسلة ،و لا تستسلم للشيطان الذى يحاول أن يشعرك فى وقت الصلاة بتعب الجسد أو بمرضه أو إنهاكه أو حاجته إلى النوم ٠٠!

هناك أشخاص ، إذا وقفوا للصلاة يشعرون بالتعب ، بينما يقفون مع أصدقائهم بالساعات دون شعور بالتعب ! لذلك احترس من هذا التعب الوهمى ، الذى هو من حروب الشياطين ٠ قال القديس باسيليوس الكبير :

" عليك تعتدز عن الصلاة بالمرض ، لأن الصلاة وسيلة للشفاء من المرض "٠

و كما قال ماراسحق " إذا بدأت الصلاة الطاهرة ، فاستعد لكل ما يأتى " أى أستعد لحروب الشيطان الذى يريد أن يمنعك عن الصلاة

خشوع الجسد لازم ، لأن الجسد يشترك مع الروح فى مشاعرها ، و يعبر عنها ٠ فخشوع الروح يعبر عنه خشوع الجسد ٠ و تراخى الروح و عدم اهتمامها ، يظهر كذلك فى حركات الجسد ، مثل انشغال الحواس بشئ آخر أثناء الصلاة ! سواء النظر أو السمع و ما إلى ذلك ٠٠

أما عن خشوع الروح ، فيجب أن تصلى بقلب منسحق ٠

و تذكر أن الرب قريب من المنسحقين بقلوبهم ٠٠ لا تنس أنك طبيعة ترابية ، و أنك تكلم خالقك الذى هو ملك الملوك و رب الأرباب (رؤ ١٩ : ١٦) ٠ و لا تنس أيضاً خطاياك التى احزنت بها روح الله القدوس ، و خنت محبته و قابلت احساناته بالجحود لذلك قف بانسحاق قدامه ، كما صلى دانيال النبى و قال " لك يا سيد البر ٠ أما لنا فخزى الوجوه ٠٠ لأننا أخطأنا إليك ٠ تمردنا عليك " (دا ٩ : ٧-٩) ٠ قل له : أنا لا استحق شيئاً ٠ و لكن مع كثرة خطاياى و جحودى ، يشجعنى طول أناتك ، و يعزينى قلبك الواسع ٠ أنت الإله الطيب ، الذى يشاء موت الخاطئ مثلما يرجع و يحيا(حز ١٨ : ٢٣ ، ٣٢) ٠ فى أنا الساقط تظهر عظيمة مراحمك٠

* * *

و لتكن صلاتك بإيمان ٠٠

تؤمن أن الله يسمعك و يحبك ، و يستجيب لك فى كل ما يراه خيراً لك ٠ و قد قال السيد الرب " كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين ، تنالونه " (مت ٢١ : ٢٣) ٠ و إن لم يكن لك هذا الإيمان ، فاطلبه فى صلاتك ٠ كما قال أبو ذلك المريض المصروع للرب " أؤمن يا سيد ٠ فأعن عدم إيمانى " (مر ٩ : ٢٤) - أو كما قال الرسول للرب : زد إيماننا (لو ١٧ : ٥) تذكر ذلك الوعد الجميل " كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر ٩ : ٢٣) ٠

ثق أن الإيمان يعطى الصلاة قوة ٠ و أيضاً الصلاة تقوى الإيمان ٠٠ غير أنك إن طلبت طلباً لا تتعجل نواله ٠ و إنما انتظر الرب ٠ آمن أنه سوف يستجيب ، مهما بدا لك أنه أبطأ فى استجابته ٠ استمع إلى داود النبى و هو يقول " أنتظر الرب ٠ ليتشدد و يتشجع قلبك ، وانتظر الرب " (مز ٢٧ : ١٣) ٠

* * *

لتكن صلاتك ايضاً بعمق و بفهم ٠

كلما كانت صلاتك بفهم ، و تقصد كل كلمة تقولها ، فإنها حينئذ ستكون بعمق ٠ إن المرتل يصرخ فى المزمور و يقول " من الأعماق صرخت إليك يا رب ٠ يا رب استمع صوتى " (مز ١٣٠ : ١) ٠ " من عمق قلبى طلبتك " (مز ١١٩) ٠ صل إذن من عمق قلبك ، و من عمق فكرك ، و من عمق إيمانك ، و من عمق احتياجك ٠٠ و عمق الصلاة يمنحها حرارة ٠٠

تداريب على الصلاة :

١-تدرب على إطالة الوقت فى الوجود مع الله ٠

ما أجمل المرتل فى المزمور " محبوب هو اسمك يا رب ، فهو طول النهار تلاوتى " (مز ١١٩) ٠ فأسأل أنت نفسك كم من الوقت تقضيه مع الله ؟ لا شك أنك تقضى أوقاتاً كثيرة فى أحاديث و فى ترفيهات لا تفيدك شيئاً ٠٠ و كلها وقت ضائع ٠ فياليتك تخصص وقتاً أطول للحديث مع الله ٠ و لا تجعل هذه الأوقات فى نهاية مشغولياتك ، بل فى قمة مشغولياتك ٠

* * *

٢-تدريب على الاستيقاظ المبكر ، و بدء اليوم بالصلاة ٠

حيث يكون القلب صافياً ، و لم يزدحم بعد بأفكار العمل و سائر المسئوليات ٠ و يكون البيت هادئاً ، لم يستيقظ أهله بعد و لم تدركه الضوضاء ٠ فتخلو مع الله بدون معطل ، و يكون الله هو أول من تتحدث إليه فى يومك ، و تأخذ منه بركة اليوم كله ٠٠

* * *

٣-إهتم بصلوات الساعات فى الأجبية :

و إن لم تستطع خلال النهار أن تصلى كل ساعة بكمالها ٠ فعلى الأقل يمكنك أن تصلى القطع و التحليل الخاص بها ٠ و ثق أن ذلك سوف لا يستغرق منك سوى دقائق معدودة ترفع فيها قلبك إلى الله خلال حروب النهار و مشغولياته ٠

و ينفعك فى ذلك : الحفظ ، فكلما كنت تحفظ قطع ومزامير الأجبية ، ستصليها بدون كتاب و بدون أن يشعر بك أحد

* * *

٤- حاول أن تمارس الصلاة فى كل مكان ٠

مطيعاً قول الكتاب " صلوا كل حين " (لو ١٨ : ١) ٠ " صلوا بلا انقطاع " (١تس ٥ : ١٧) ٠٠ تدرب على الصلاة فى الطريق ، حتى لا تنشغل بمناظره ٠تدرب على الصلاة و أنت مع الناس ، و بخاصة إن كانت أحاديثهم معثرة أو لا تعنيك ٠ تدرب على الصلاة و أنت فى طرق المواصلات ، لكى تستفيد من الوقت ٠٠ يمكنك أيضاً أن تصلى فى دخولك إلى بيتك ، و فى خروجك منه ٠ و كذلك فى دخولك إلى مكان عملك ، و فى خروجك ٠٠ و أيضاً فى كل مقابلة ليعطيك الرب نعمة و توفيقاً ٠

* * *

٥- تدرب على الصلوات القصيرة المتكررة ٠

مثل صلاة " يا رب يسوع المسيح ارحمنى " أو " اللهم التفت إلى معونتى ٠ يا رب اسرع و أعنى) أو " أحبك يا رب يسوع المسيح و أبارك اسمك " أو " أشكرك يا رب على كل حال " ٠٠ أو أية آية صلاة تركبها من نفسك ، و تكون مناسبة لحالك و معبرة عن مشاعرك ٠٠ و كثرة ترداد الصلاة تجعلها تلصق بعقلك الباطن بحيث يدور بها فكرك تلقائياً ، و يمكن أن تبقى معك حتى فى نومك ٠ و لعله ينطبق على هذا قول المرتل " كنت أذكرك على فراشى " ٠

* * *

٦-تدرب على الصلاة من أجل الآخرين ٠

تدرب على الصلاة من أجل كل الذين هم فى حاجة٠ من أجل أقربائك و أصحابك وزملائك ٠٠ من أجل الكنيسة بوجه عام ، و كنيستك المحلية بوجه خاص ، و من أجل الخدمة ٠٠ صلاة أخرى من أجل المرضى و الراقدين ، و من أجل المحتاجين إلى توبة ٠ صلاة من أجل العالم و الوطن ٠٠ و تتدرج فى الطلبة لأجل الآخرين إلى أن تصلى من أجل أعدائك و مقاوميك٠

* * *

٧- تدرب أن تدخل الله فى كل موضوع و كل مشكلة ٠

فلا تقف وحدك فى كل مشاكلك ، و لا تعتمد فى حلها على ذكائك وحده أو مجرد معونة الآخرين ٠ إنما أشعر بأنك لا تستغنى عن الله فى كل ما يعرض لك ٠ و ثق أن الصلاة ستجلب لك الشعور بالأمن و الاطمئنان و السلام الداخلى ٠ و ثق أن مشاكلك قد تسلمتها يد أمينة قوية ، يمكنها أن تدبر أمورك كلها ٠

عندما تصلى من أجل مشكلة ، إما أن يحلها الله و تنتهى ، أو إن بقيت ، يعطيك سلاماً قلبياً من جهتها ٠

و هذا هو أيضاً لون من حل المشكلة ٠ فالمشكلة موجودة ، و لكنك غير متضايق منها و غير مضطرب ، و كأنك لا تشعر بوجودها ٠ و أصبحت لا تعتبرها إشكالاً أو منغصاً ٠٠ إنها فاعلية الصلاة ٠

* * *

٨-تدرب على الصلوات الخاصة ، بالاضافة إلى الصلوات الطقسية ٠

الصلاة التى تكلم فيها الله بكل صراحة ، و تكشف له كل ما فى قلبك ٠ لا مانع إن تقول له " أنا يا رب أحبك ٠ و لكنى أشعر أننى أحب أموراً أخرى فى العالم تعطلنى عنك ٠ و كلما حاولت أن أنزعها فى قلبى ، أجد نفسى ضعيفاً أمامك ٠ و أنا أعرف أن " محبة العالم عداوة لله " (يع ٤ : ٤) ٠ لذلك أعطنى يا رب أن أحبك المحبة الكاملة ٠و انقذنى بقوتك من كل ضد محبتك ٠

لا تكن صلاتك مجرد عبارات منمقة مختارة منتقاة ٠ بل لتكن كلمات صريحة نابعة من قلبك ، بلا تكلف و لا تصنع ٠٠ تعبر عن حالتك و مشاعرك ، بقلب مفتوح ٠٠ و احذر من أن تكون صلاتك مجرد روتين ٠

* * *

٩- لكى تكون صلاتك بفهم ، تدرب على التأمل فى صلوات المزامير و الأجبية و كل الصلوات المحفوظة ٠

فكلما تغوص فى معانى هذه الصلوات ، ستجد لها عمقاً يصحبك فى وقت الصلاة بها ٠ بل ستتعلم أسلوب التخاطب مع الله ٠ كما قال التلاميذ للرب " علمنا أن نصلى " (لو ١١ : ٢) ٠

* * *

١٠-إن كنت لم تصل بعد إلى الصلاة الطاهرة ، فلا تمتنع عن الصلاة لهذا السبب ٠

فالصلاة كأية فضيلة ، بتدرج الإنسان فى الوصول إلى كمالها ٠ و قد قال ماراسحق : إن كنت تنتظر حتى تصل إلى الصلاة الطاهرة ثم تصلى ٠ فإلى الأبد ما تصلى ٠ لأن الصلاة الطاهرة نصل إليها بالصلاة ٠٠

* * *

١١-تدرب أنك تستمر فى الصلاة ، كلما أردت أن تنهيها ٠٠

فمن علامات نجاحك فى الصلاة ، إنك لا تستطيع أ، تتركها و كأنك تناجى الرب وتقول" ابق معى يا سيدى " و تقول مع سفر النشيد " أمسكته و لم أرخة " (نش ٣ : ٤) ٠٠ بل إن كل طلبة أو لفظة

تشعر بحلاوتها ، فلا تريد تركها ٠ كما قال أحد الآباء عن صلوات القديسين " و من حلاوة الكلمـــة فى أفواهم ، ما كونوا يستطيعون تركها إلى لفظة أخرى ٠٠ "

* * *

الكتاب المقدس

أهميـــة

مبارك هو الرب الإله ، الذى تنازل فكلمنا ، نحن التراب و الرماد ٠ و مبارك هو لأنه أمر أنبيـــاءه القديسين أن يسجلوا لنا كلامه ، فبقى محفوظاً لنا فى الكتاب المقدس منفعة لنفوسنا و نوراً لطريقنا

* * *

الكتاب المقدس هو كتاب الكتب أو هو الكتاب

فعندها يقال " الكتاب " فقط ، إنما يقصد به كتاب الله ، كلامة الذى يتحدث به إلينا ٠ الذين نطق بـــه روح الله القدس فى أفواه أنبيائه القديسين ٠ " لأنه لم تأت نبوءة قط بمشيئة إنسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس " (٢بط ١ : ٢١) ٠ لذلك فإننا فى قانون الإيمان ، نقول عن الروح القدس " الناطق فى الأنبياء " ٠ و كما يقول الرسول " كل الكتاب هو موحى به من الله ، و نافع للتعليم و التوبيخ ، للتقويم و التأديب الذى فى البر " (٢تى ٣ : ١٦) ٠

* * *

الكتاب المقدس هو رسالة مقدمة إليك ، و من ذا الذى لا يفرح برسالة الله ؟!

القديس أنطونيوس الكبير وصلته رسالة ذات يوم من الامبراطور قسطنطين ٠ ففرح تلاميذه جداً ، و لكن القديس ترك الرسالة جانباً ، فتعجب تلاميذه و تحمسوا لقراءة الرسالة ٠ فقال لهـــم " لمـــاذا تفرحون يا أولادى هكذا لرسالة وصلتنا من إنسان ؟ و هوذا الله قد أرسل لنا رســـائل كثيـــرة فـــى الإنجيل المقدس ، و نحن لا نقابلها بمثل هذا الفرح و الحماس ؟! ثم بعد ذلك قرأ خطاب الامبراطور و أرسل إليه يباركه ٠

و أنت : إن وصلك خطاب من إنسان عزيز عليك ، ألا تفرح بـه ، و تقرؤه مرات ٠٠ ألا يليق بك أن تفعل هكذا برسالة تصل إليك من الله ٠٠

* * *

رسالة الله المرسلة إليك ، التى نطق بها الروح ، و تكلم بها الأنبياء مسوقين بالروح ، هـــى كلمـــة مملوءة روحاً ، نفهمها بالروح و نحياها ٠ هى كما قال الرب :

" الكلام الذى أكلمكم به هو روح و حياة " (يو ٦ : ٦٣)٠ إنه غذاء لأرواحنا تتغذى به فيكون لها حياة ٠٠

و كما قال الرب فى سفر التثنية (تث ٨ : ٣) ، ورده السيد المسيح " ليس بالخبز وحـــده يحيـــا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله " (مت ٤ : ٤) ٠ لأن الخبز هو طعام الجسد ٠ و الإنسان ليس مجرد جسد ، بل له روح ٠ و الروح تتغذى بكلام الله الذى هو فى كتابه المقدس ٠

ففى الكتاب المقدس غذاؤنا اليومى ، لأننا نحيا " بكل كلمة تخرج من فم الله " ٠ إنه خبز الحياة و غذاء الروح

و لعله بعض ما تقصده عبارة " خبزنا الذى للغد ، أعطنا اليوم " ٠

إن رجل الله يفرح بالكتاب ، " و فى ناموس الرب مسرته " (مز ١) و فى ناموسه يلهج نهاراً و ليلاً ٠ و عبارة " مسرته " تعنى أن وصايا الله ليست عبئاً عليه ، و ليست ثقيلة ، و ليست فرضاً ، إنما هى سبب فرحه ٠٠

* * *

و علاقته بالكتاب دائمة و مستمرة ، يلهج فيه النهار و الليل ٠

ولا تظن أن هذه قيلت للرهبات و للعباد فقط ، بل للجميع ٠ قالها الرب لقائد جيش مثقل بالمسئوليات ، يقود مئات الآلاف من الشعب ٠٠ ففى وصية والرب ليشوع بن نون خليفة موسى ، يقول له الرب **" لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه نهاراً ٠ لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه ٠**

حينئذ تصلح طريقك ، و حينئذ تصلح طريقك ، و حينئذ تفلح " (يش ١ : ٨) ٠ تصوروا قائداً مشغولاً جداً كيشوع ، و عليه كل مسئوليات الحكم الضخمة : و مع ذلك يقول له الرب " لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك " ؟! ٠٠

ليس هذا الكلام موجهاً إلى يشوع وحده ، بل إلى كل واحد منا ٠ و لذلك يقول المزمور الأول عن الرجل البار إنه **" فى ناموس الرب مسرته ، و فى ناموسه يلهج نهاراً و ليلاً " (مز ١ : ٢) ٠**

داود النبى كان ملكاً و قائداً ورب أسرة كبيرة و صاحب مسئوليات خطيرة ٠ و مع ذلك يقول " ناموسك هو تلاوتى " " شريعتك هو لهجى " ٠ و يتحدث عن علاقته بناموس الله و شريعته فيقول " سراج لرجلى كلامك ، نور لسبيلى " ، **" فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة "** " كلامك ألذ من العسل و الشهد فى فمى " ٠٠

من أين كان لدواد وقت يتلو فيه فى كلام الله النهار و الليل ، و صبح كلمات الله هى درسه و تلاوته و لهجه ؟!

* * *

إن آبائنا القديسين كانوا يحفظون كثيراً من أسفار الكتاب عن ظهر قلب ، و كان الكتاب يظهر فى حياتهم ٠ يا ليتنا نقيم مسابقات لحفظ آيات الكتاب ٠ أتذكر أننى قلت مرة للناس :

" احفظوا الانجيل ، يحفظكم الإنجيل ، احفظوا المزامير ، تحفظكم المزامير " ٠

و فى حفظ الآيات يمكن أن نرددها فى داخلنا ، و نتأمل معانيها و أعماقها فى كل مكان ، فى البيت ، و فى العمل ، و فى الطريق ، ووسط الناس ٠ و هكذا نصادق الكتاب و كلماته ، و تكون لنا نعم الرفيق ٠٠

* * *

حفظ الآيات و ترديدها و تأملها فضيلة ، و العمل بها فضيلة أعظم ٠

و لذلك قال السيد المسيح " من يسمع كلامى و يعمل به يشبه إنساناً بنى بيته على الصخر " ٠ و يقول الكاهن فى أوشية الإنجيل " فلنستحق أن نسمع و نعمل بأناجيلك المقدسة " ٠٠

عبارة " فلنستحق " هنا لها معنى عميق ، لأنه من نحن حقاً ، حتى نستحق أن نسمع كلام الله و نؤتمن على وصاياه ؟!

أحب أن أرى أناجيلكم الخاصة و قد ظهر عليها الاستعمال ٠

تظهر قديمة و مخططة ، وواضحة قراءتكم فيها و استعمالكم لها ٠٠ كلها زكريات و تأملات ، دخات العقل و القلب و أصبحت جزءاً من الحياة ٠

* * *

اقرأوا و تأملوا ٠ اخلطوا إلى أعماقه ٠

لا تكتفوا بالمعنى القاموسى .. و بالتأمل ستجدون الآية الواحدة ،و كأنها بحر واسع لا حدود له ، كما قال داود : **"لكل كمال رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً "** .

قال هذا داود ، فى وقت لم تكن أمامه سوى تسعة أسفار تقريباً ، و نحن معنا الكتاب كله ، بما فى ذلك العهد الجديد و جميع الأنبياء . و كل كلمة فيه مملوءة من العمق و كنز للتأمل .

* * *

الكتاب المقدس ليس فقط مصدر تأمل ، إنما أيضاً مصدر عزاء

فى كل حالة من حالات الإنسان النفسية ، يجد فى آيات الكتاب ما يريح قلبه و يشبعه.

فى حزنه يجد كلمة عزاء ، و فى فرحه يجد فيه سلاماً ، و فى يأسه يجد آيات عن الرجاء ..

الكتاب المقدس ، كلماته مؤثرة . قد تقرأ بعضها و تقول لله " لا شك يا رب أنك قلت هذا الكلام من أجلى " .

* * *

لذلك خذ كلمات الله كأنها رسالة شخصية موجهة إليك .

إليك أنت بالذات ، و " من له أذنان للسمع فليسمع ، ما يقوله الروح القدس للكنائس " . من أجلك أنت بالذات نطق الروح للكنائس " . من أجلك أنت بالذات نطق الروح على أفواه الأنبياء ..

إنها رسالة أرسلها إليك أنت ، و ليس إلى أهل رومية أو أهل كورنثوس . عندما أرسل الامبراطور قسطنطين رسالة إلى القديس أنطونيوس ، فرح أولاده . فقال لهم " إن الله - ملك الملوك - قد أرسل إلينا كثيراً من الرسائل ، فلماذا لم تفرحوا بها هكذا ..

* * *

الكتاب المقدس ليس مجرد رسالة عزاء ، إنما أيضاً سلاح :

كل خطية ، يمكن أن تصنع أمامها وصية ، فنجد أنها قد ضعفت أمامك ، و أخذت أنت من الوصية قوة .. ما أقوى كلمة الرب ، حتى أن لفظها صغير .

" كلمة الله حية و فعالة ، و أمضى من كل سيف ذى حدين " (عب ٤ : ١٢) .

الشيطان فى التجربة على الجبل ، و لم يستطع أن يحتمل كلمة الله ، و لم يستطع أن يرد على شئ منها ..

* * *

و كلمة الرب شاهدة علينا فى اليوم الأخير ، إن لم ننفذها .

لو لم نعرف ، لكان لنا عذر ، و لكن أى عذر لنا ، و هوذا كلام الله أمامنا يوضح لنا كل شئ ؟! و كلام الله لم يكن مطلقاً لمجرد المعرفة ، و إنما للحياة .. لذلك فلنعمل به ..

إن كلمة الرب ستطاردنا فى كل مكان نذهب إليه ، ترن فى آذاننا ، و تتعب ضمائرنا إن لم نعمل بها و لن تجدينا مطلقاً تبريرات العقل الخاضع لشهوات النفس ..

* * *

و فى نفس الوقت فإن كلمة الله فى أفواهنا هى دليل على روحانتنا و على انتمائنا الدينى .

هناك أشخاص يتحدثون ، فتمتلئ أحاديثهم بكلام العالم . و هناك من يتحدث ، فتظهر فى كلامه لغة الكتاب . من كثرة ترداده لألفاظ الكتاب ، اعتاد أسلوبه ، و تأثر بلغته ، لذلك " لا يبرح سفر الشريعة من فمه " . و كل من يسمعه ، يقول له " لغتك تظهرك " (مت ٢٦ : ٧٣) .

فلنعود أطفالنا استخدام آيات الكتاب ، بأن يقولوا آية على كل ما يرونه : كتاب ، شجرة قلم ، أرض ، باب ، مائدة .. كل ما يقع تحت بصرهم ..

الطفل الذى يتعود هذا ، تدخل لغة الكتاب فى الفاظه و حياته . و لذلك لا يعرف لغة الخطاة ، و لغة العالم ، و لا يخطئ ..

* * *

قال داود " خبأت كلامك فى قلبى ، لكيلا أخطئ إليك " ٠

إن الكلام يجب أن يوضع فى القلب ، فى مركز العاطفة و الحب و المشاعر ، و ليس فقط فى الفم ، أو فى العقل فى موضع المعرفة فقط ٠ وحينما يكون كلام الله فى القلب ، حينئذ لا نخطئ ، لأن وصية الله امتزجت بعواطفنا ٠ ما أجمل قول الإنجيل عن مريم العذراء إنها " كانت تحفظ كل هذه الأمور متأملة بها فى قلبها " ٠

من ضمن الأشخاص الذين أخطأوا ، لأنهم خبأوا كلام الله فى عقولهم و ليس قلوبهم ، أمنا حواء : سألتها الحية من وصية الله ، فأجابت بحفظ و تدقيق شديد ، وفى نفس المناسبة كسرت الوصية و أخطأت ٠

* * *

اقرأوا الكتاب المقدس ٠ و ثقوا أنكم فى كل قراءته ستجدون شيئاً جديداً ٠ فكلمات الله غنية و دسمة ، و هى ينبوع للتأملات لا ينضب لذلك نرد أن داود النبى إذ اختبر هذه الحقيقة يقول :

" لكل كمال رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً " (مز ١١٨) ٠

أى أم كل كمال له حدود ، أما وصية الله فلا حدود لعمقها ٠ فكما أن الله غير محدود ، كذلك عمق كلماته غير محدودة ٠ مهما تأملتها ، تجد أن التأملات تفتح أمامك آفاقاً لا تجد ٠٠ **هى جديدة باستمرار ، جديدة على ذهنك و على فهمك ٠ لهذا قال النبى " وجدت كلامك كالشهد فأكلته " ٠**

و فى ذلك يقول داود النبى " ناموس الرب كامل ، يرد النفس ٠ شهادات الرب صادقة ، تصير الجاهل حكيماً ٠ وصية الرب مستقيمة ، تفرح القلب ٠ أمر الرب طاهر ينير العينين ٠٠ أحكام الرب حق ، عادلة كلها ٠٠ أشهى من الذهب و الأبريز الكثير الثمن ٠ و أحلى من العسل و قطر الشهاد " (مز ١٩) ٠

* * *

ثق أن كل كلمة تقرأها من الكتاب سيكون لها تأثيرها فيك وقوتها و فاعليتها دون شرح و دون وعظ ٠

يكفى أن تذكر كلمة الله ، لكى يقتنع الإنسان بدون نقاش و بلا جهد كثير ٠ يكفى أن تذكر كلمة الله ، لكى يشعر الإنسان بحضور الله فى الوسط و بنعمة خاصة ٠ و هذه الكلمة تنير له الطريق ٠

إن الروح القدس الذى أوحى بالكلمة ، هو يعطى قوة لتنفيذها ٠ و لنتذكر أن الشعب لما سمعوا الكلمة فى يوم الخمسين ، قيل عنهم إنهم " نخسوا فى قلوبهم " (أع ٢ : ٣٧) ٠

و قال القديس بولس لتلميذه تيموثاوس " و أنت منذ الطفوليه تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص " (٢تى ٣ : ١٥) ٠٠ يجد فيها الإنسان الإرشاد الإلهى ، كما قال داود النبى " سراج لرجلى كلامك و نور لسبيلى " بل قال أكثر من هذا :

" لو لم تكن شريعتك هى تلاوتى ، لهلكت حينئذ فى مذلتى " (مز ١١٩) ٠

لهذا كله نلاحظ أن كنيستنا القبطية قد اهتمت بالكتاب المقدس اهتماماً كبيراً جداً ٠

اهتمام الكنيسة بالكتاب

إن الكنيسة المقدسة تهتم اهتماماً كبيراً بالكتاب المقدس ٠ ففى كل قداس ، نقرأ فصلاً من الإنجيل فى رفع بخور عشية ، و فصلاً ثالثاً هو إنجيل القداس ٠

و إلى جوار قراءة الإنجيل مرات فى كل قداس ، توجد قراءات أخرى من رسائل بولس ، و من الرسائل الجامعة (الكاثوليكون) ، و من سفر أعمال الرسل (الأبركسيس) ، إلى جوار مقتطفات من المزامير تسبق قراءة الإنجيل ٠

* * *

و عندما تقرأ الكنيسة الإنجيل أثناء القداس الإلهى يقف شماسان بالشموع إشارة إلى أن هذا الإنجيل هو سراج لأرجلنا و نور لسبيلنا و أن كلمة الرب مضيئة تنير العينين ٠
و قبل قراءة الإنجيل تصلى الكنيسة أوشية (طلبة) تسمى أوشية الإنجيل ، يقول فيها الكاهن للرب " **فلنستحق أن نسمع و نعمل بأناجيلك المقدسة ، بطلبات قديسيك** " ٠ أى أن مجرد سماعنا للإنجيل يحتاج إلى استحقاق ، و يحتاج إلى صلاة ، و إلى طلبات القديسين ٠ و الشعب كله يسمع و هو واقف ٠ بينما يصرخ الشماس صائحاً " قفوا بخوف من الله ، و انصتوا لسماع الإنجيل المقدس "

* * *

يقف الشعب كله فى خشوع ٠ و رئيس الكهنة يرفع تاجه من على رأسه احتراماً لكلمة الله ٠ و يقبل الشعب الإنجيل محبة له ٠ و يكون الأب قد حمل الإنجيل على رأسه و داربه حول المذبح ، اشارة إلى انتشار الإنجيل فى المسكونة كلها ٠٠

* * *

كما أن عظات الكنيسة كلها مبنية على آيات من الكتاب المقدس ٠ وكذلك كل مناهج التعليم الدينى ٠

و مع اهتمام الكنيسة بالتقليد ، إلا أن كل الأمور الواردة فيه ، لا يمكن أن تتعارض مع شئ من الكتاب ، بل تثبتها آيات الكتاب المقدس ٠ كما أن مجرد الاعتقاد بالتقليد ، و بالتسليم الرسولى أمر يثبته الكتاب أيضاً ٠

* * *

و نرى الإنجيل ثابتاً فى صلواتنا اليومية ٠
فى الصلوات السبع ، صلوات الأجبية ، التى يصليها المؤمن كل يوم ، والتى تصليها الكنيسة فى قداساتها و فى اجتماعاتها : تشمل عدداً كبيراً من المزامير ، و هى جزء من الكتاب ٠ فى فصل من الإنجيل فى كل ساعة ، و مقدمة من رسالة بولس الرسول إلى أفسس فى صلاة باكر ٠ و هكذا فإن من يداوم على صلوات الأجبية سيحفظ بالضرورة فصولاً من الإنجيل و عديداً من المزامير ٠

* * *

و فى كل سر من أسرار الكنيسة فصول من الإنجيل ٠

ففى صلاة القنديل (مسحة المرضى) مثلاً ، تقرأ فصول عديدة من الكتاب ٠ و حتى صلاة القداس الإلهى تعتمد غالبيتها على آيات من إنجيل يوحنا (٢٠ : ٢٢، ٢٣)

* * *

ونفس الوضع بالنسبة إلى الصلوات الطقسية ٠

فصول عديدة من الكتاب بعهدية فى طقس اللقان ، و فى تدشين الكنائس ، و فى مباركة المنازل الجديدة ، و فى سيامة الرهبان أو الراهبات
و فى ليلة أبوغالمسيس يقرأ سفر الرؤيا كله ، مع عدد كبير من التسابيح وبخاصة من العهد القديم ٠ و ما أكثر فصول الكتاب من العهدين التى تقرأ خلال أسبوع الآلام ٠
و العهد القديم نقرأ منه أيضاً من الصوم الكبير و فى صوم يونان ، و فى كل ساعات البصخة المقدسة ٠ و هو أساس لكثير من قطع الأبصلمودية ٠ هل يوجد اهتمام بالكتاب المقدس أكثر من

هذا ؟! و فى سيامة الآباء البطاركة و الأساقفة ، يوضع الكتاب المقدس فوق رؤوسهم ، ليلتزموا بتعليمه ..

بقى أن أحدثك عن فائدة قراءة الكتاب المقدس فى حياتك . بل أيضاً كيف تقرأ الكتاب ، و ما هى علاقتك به .

و كذلك أريد أن أذكر لك تدريبات معينة تعمق علاقتك بالكتاب .

علاقتك بالكتاب المقدس

علاقتك بالكتاب المقدس تتركز فى نقاط رئيسية أهمها : اقتناء الكتاب ، اصطحابه ، قراءته ، فهمه ، التأمل فيه ، دراسته ، حفظه . و فوق الكل : العمل به ، و التدرب على وصاياه و تحويلها إلى حياة

١ - إقتناء الكتاب

ينبغى على كل شخص أن يقتنى الكتاب المقدس ، سواء أكان كتاباً كبيراً على مكتبه للقراءة و الدراسة ، أو كتاباً صغيراً يكون فى الجيب أو حقيبة اليد : لا يفارقه . بل يصحبه فى كل مشوار فى كل رحلة ، فى كل مكان ، أثناء وجوده فى العمل ، أو فى وقت الراحة ، أو أثناء الجلوس مع الناس يكون صديقه ورفيقه فى دخوله و خروجه ، فى انتقاله و ترحاله . يشعر أنه لا يستطيع الاستغناء عنه إطلاقاً . إن نسى أخذه معه ، يحس أنه قد فقد شيئاً هاماً :

أخشى أن يكون الكتاب المقدس غريباً فى بيوتنا أو حياتنا "ليس له إن يسند رأسه " (لو ٩ : ٥٨) ، أو أنه يسند رأسه فى مكتبتك أو على أو على مكتبك و ليس فى ذهنك و لا قلبك ! نعم ،لست اقصد باقتناء الكتاب أن يكون تحفة فى بيتك ، أو تميمة فى جيبك ، إنما يجب أن يكون لاستعمالك الدائم . و أنت لا تصل إلى صداقة الكتاب هذه ، إلا إذا كنت تحبه..

٢- محبة الكتاب المقدس

تحب الكتاب لأنه رسالة الله إليك ، تتلقفها فى حب ..
تماماً كما يصل الإنسان خطاب من حبيب له ، يقرؤه و يعيد قراءته ، لأنه كلام عزيز عليه .. كما يقول داود النبى عن كلام الله إنه " اشتهى من الذهب .. و أحلى من العسل و قطر الشهاد " (مز ١٩ : ١٠) . و يقول عنه الرب فى المزمور الكبير :

" كلماتك حلوة فى حلقى . أفضل من العسل و الشهد فى فمى ".

و يقول أيضاً " أحببت وصاياك أفضل من الذهب و الجوهر" ممحص قولك جداً . عبدك أحبه " " أبتهج بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة " " اشتهيت وصاياك " " أحببت وصاياك " " أحببت شهاداتك " " لكل كما رأيت منتهى . أما وصاياك فواسعة جداً " (مز١١٩) . و يقول أيضاً :

" لو لم تكن شريعتك هى تلاوتى ، لهلكت حينئذ فى مذلتى " (مز١١٩)

و هكذا إن أحببت الكتاب ، تجد لذة فى قراءته و متعة . و هذه اللذة تجعلك تداوم على القراءة و تلهج بها .

٣- المداومة على قراءة الكتاب

يقول المزمور الأول عن الإنسان الطيب المطوب :

" فى ناموس الرب مسرته ٠ و فى ناموسه يلهج نهاراً و ليلاً "٠

و هذه هى الوصية التى قالها الرب ليشوع بن نون " لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه نهاراً و ليلاً ، لكى تتحفظ للعمل بكل ما هو مكتوب فيه " (يش ١ : ٨) ٠

إن قراءة الكتاب تكون أفيد ، إن كانت بمواظبة و مداومة ٠ و بطريقة منتظمة ، كل يوم ٠٠

و ذلك لكى تتشبع بروح الكتاب ، و يثبت تأثيرها فيك ، و تصبح قراءته عادة عندك ٠ و يمكن أن تضع لنفسك أن تقرأ فقرات من كتاب فى كل صباح قبل إن تخرج من بيتك ، لتكون مجالاً لتفكيرك و تأملاتك خلال اليوم ، و تملأ ذهنك فى مشيك و فى دخولك و خروجك ٠ كما تقرأ أيضاً فصلاً آخر قبل النوم ، لكى تفكر فى هذه الآيات قبل النوم ، فتصحبك حتى فى أحلامك ٠٠

إن القراءة المنتظمة فى الكتاب تساعد على الهذيذ فيه ، أو اللهج به ، و استمراره فى الفكر ٠٠

و هكذا تستطيع أن " تلهج به نهاراً و ليلاً " حسب الوصية ٠ و إن كان هذا اللهج ممكناً لملك عظيم مثل داود النبى ، أو قائد عظيم مثل يشوع ، على الرغم من كثرة مسئولياتهما ، فكم بالأولى نحن و لا شك أننا أقل منهما مشغولية بكثير ٠٠ ؟! و لقراءة الكتاب عناصر هامة تساعد الاستفادة منه ، نذكر من بينها :

٤-القراءة بخشوع

أنت فى القراءة تستمع إلى الله يكلمك ، فاسمعه بخشوع ٠٠

و بقدر خشوعك فى القراءة ، يكون تأثير كلام الله عليك ٠

لأن قلبك يكون فى ذلك الوقت مستعداً ، شاعراً بأنه فى حضرة الله ٠٠ ولذلك فإن الكنيسة حينما تتلو علينا قراءات من الكتاب فى القداس الإلهى ، يصيح الشماس قائلاً " قفوا بخوف من الله ، و انصتوا لسماع الإنجيل المقدس " ٠٠ و الأب الكاهن قبل قراءة الإنجيل ، يرفع البخور و يصلى أوشية يقول فيها :

اجعلنا مستحقين أن نسمع و نعمل بأناجيلك المقدسة ٠٠ "

إن مجرد السماع يحتاج إلى استحقاق ، و يحتاج إلى استعداد ، و نحن نذكر أن موسى النبى - قبل سماع الوصايا العشر - دعا الشعب أن يتطهروا و يقدسوا مدة ثلاثة أيام ، لكى يستحقوا أن يسمعوا كلمة الله إليهم " (خر ١٩ : ١٠ - ١٥)

فالذى يقرأ كلمة الله باستهانة و إهمال ، لا يتأثر و لا يستفيد ٠

تعود إذن أن تقرأ الكتاب بهيبة و احترام ٠٠ تذكر أنك فى الكنيسة تقف ، و يخلع رئيس الكهنة تاجه أثناء القراءة احتراماً لكلمة الله ، فلا تكن أنت فى الكنيسة بروح ، و فى البيت بروح آخر ٠٠ و ماذا أيضاً فى عناصر القراءة ؟

٥-القراءة بفهم

ادخل إلى عمق الكلام الإلهى ، و فهم المقصود منه ٠٠

اقرأ بتأمل و عمق ٠ فالفاهمون يضيئون كضياء الجلد " (دا ١٢ : ٣)

كان الكتبة و الفريسيون من علماء اليهود ، و مع ذلك ما كانوا يفهمون معنى وصية تقديس السبت ٠ و ما كانوا يفهمون معنى كلمة (القريب) ، حتى شرح الرب مثال السامرى الصالح ٠٠

* * *

و أهمية الفهم لازمة جداً ، حتى أن الرب يقول :

" هلك شعبى من عدم المعرفة " (هو ٤ : ٦) ٠ و من لوازم المعرفة ، عدم الاعتماد على آية واحدة ٠ فالإنجيل ليس آية واحدة ٠ و إنما هو كتاب ٠ و مجرد آية ، لا يعطى معنى متكاملاً لقصد الله ووصيته ٠٠ و لذلك :

اجمع الآيات التى تخص موضوعاً واحداً ، و اخرج بمعنى متكامل ٠

* * *

و من ضمن الشروط التى تساعدك على فهم كلمة الله :

أن تقرأ بروح ، وبعمق ٠٠

فليس المهم فى كثرة ما تقرأه ، و لو بغير فهم أو بغير تأمل !! و إنما تكمن استفادتك فى العمق الذى تقرأ به ، حيث تدخل كلمة الله إلى أعماق فكرك و إلى أعماق قلبك و تجعلها تمس مشاعرك

* * *

لذلك اهتم بروح الوصية ، و ليس بمجرد النص ٠

فكلام الله – كما قال – " هو روح وحياة " (يو ٦ : ٦٣) ٠ لذلك عليك أن تعرف روح الوصية ، و لا تتمسك بحرفيتها ، لأن القديس بولس الرسول يقول فى هذا المعنى :

" لا الحرف بل الروح ٠ لأن الحرف يقتل لكن الروح يحيى " (٢كو ٣ : ٦) ٠

و الشخص الروحى يسلك بروح الوصية ، و ليس بمجرد حرفيتها ، كما كان يفعل الكتبة و الفريسيون ٠٠

* * *

و فهم الكتاب لازم جداً ، سواء من جهة الروحيات أو من جهة العقيدة و الإيمان ٠

كثيرون كانوا يقرأون الكتاب ، و لكنهم ضلوا لأنهم ما كانوا يعرفون المفهوم السليم ، فلم يدركوا " ما يقوله الروح للكنائس " (رؤ٢ ، رؤ٣) ٠ و هكذا يقول السيد المسيح له المجد " تضلون إذ لا تعرفون الكتب " (مت ٢٢ : ٢٩) ٠ لذلك حاول أن تعرف ، استشر و اسأل ٠٠

* * *

كثيرون من الهراطقة كانوا يقرأون الكتاب ، بل حسبهم البعض علماء و لكنهم ضلوا لعدم الفهم

أو أنهم كانوا أحياناً يأخذون آية من الكتاب ، و يتركون باقى الآيات التى تكمل الفهم ٠ فمثلاً يوردون قول الرب " لأن أبى أعظم منى " (يو ١٤ : ٢٨) ، و لا يضعون إلى جوارها " أنا و الآب واحد " (يو ١٠ : ٣٠) ٠ أو يقول البعض : قال الرسول " آمن بالرب يسوع فتخلص لأنت و أهل بيتك " (أع ١٦ : ٣١) ٠ و لا يذكرون معها قول الرب " من آمن و أعتمد خلص " (مر ١٦ : ١٦)٠

* * *

لذلك إن قال البعض : مكتوب (كذا) ، قل له كما قال الرب " مكتوب أيضاً " (مت ٤ : ٧) ٠

كثيرون كانوا يقرأون الكتاب ، و لكنهم ضلوا لأنهم ما كانوا يعرفون المفهوم السليم له المجد " تضلون إذ لا تعرفون الكتب " (مت ٢٢ : ٢٩) ٠ لذلك حاول أن تعرف المفهوم السليم لكل ما تقرأ ٠ و إن لم تعرف ، استشر و اسأل ٠٠

* * *

كثيرون من الهراطقة كانوا يقرأون الكتاب ، بل حسبهم البعض علماء و لكنهم ضلوا لعدم الفهم

أو أنهم كانوا أحياناً يأخذون آية من الكتاب ، ، و يتركون باقى الآيات التى تكمل الفهم ٠ فمثلاً يوردون قول الرب " لأن أبى أعظم منى " (يو ١٤ : ٢٨) ، و لا يضعون إلى جوارها " أنا و الآب واحد " (يو ١٠ : ٣٠) ٠ أو يقول البعض : قال الرسول " آمن بالرب يسوع فتخلص أنت و أهل بيتك " (أع ١٦ : ٣١) ٠ و لا يذكرون معها قول الرب " من آمن و اعتمد خلص " (مر ١٦ : ١٦) ٠

* * *

لذلك إن قال لك البعض : مكتوب " كذا " ، قل له كما قال الرب " و مكتوب أيضاً " (مت ٤ : ٧) ٠

إن قال لك أحد المتزمتين : مكتوب " بكآبة الوجة يصلح القلب " (جا ٧ : ٣) ٠ قل له و مكتوب أيضاً افرحوا " (فى ٤ : ٤) ٠ و مكتوب كذلك " لكل شئ تحت السموات وقت ٠٠ للبكاء وقت ، و للضحك وقت " (جا ٣ : ١ ، ٤) ٠٠ هكذا كن حكيماً فى فهم ما تقرأ ٠٠

* * *

إن حاربك السبتيون بحفظ السبت قائلين : مكتوب " اذكر يوم السبت لتقدسه " (خر ٢٠ : ٨) ٠ قل لهم و مكتوب أيضاً " لا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت ، التى هى ظل الأمور العتيدة " كو ٢ : ١٦ ، ١٧) ٠

إن آيات الكتاب – إذا اجتمعت معاً – تكون تكاملاً و تناسقاً و عمقاً للفهم ، و استخداماً لكل شئ فى موضعه ٠

ماذا أيضاً عن علاقتك بالكتاب ؟ هناك نقطة هامة أخرى و هى :

٦- حفظ آيات الكتاب

حاول أن تحفظ آيات من الكتاب تمثل مبادئ روحية معينة ، أو أسساً فى العقيدة و الإيمان ، أو وعوداً من الله تشجعك و تعزيك ، أو تشمل ردوداً على مسائل تشغلك و هذه الآيات و ترددها كثيراً فى ذهنك و قلبك ، بلون من الهذيذ الذى يلصقها بروحك و أعماقها ، و يدخلها فى عقلك الباطن ، و يحفرها فى ذاكرتك فتخرج منها حين تحتاج إليها ٠٠

* * *

و الأمثلة على حفظ آيات الكتاب كثيرة :

البعض يحفظ مثلاً العظة على الجبل (مت ٥ – ٧) ٠ أو صفات المحبة (١كو ١٣) ، أو توصيات روحية كثيرة فى (رو ١٢) و فى (١تس ٥) ٠ أو اجزاء من سفر الأمثال أو سفر الجامعة ٠ أو الوصايا العشر فى (خر ٢٠ ، تث ٥) ٠ أو يحفظ عدداً كبيراً من المزامير ، و من صلوات الأنبياء فى الكتاب المقدس ٠ أو آيات متفرقة تترك تأثيراً فى قلبه حين قراءتها ٠ أو آيات خاصة بفضائل معينة ، أو خاصة بعقائد إيمانية ، أو تمثل ردوداً على حروب روحية ٠٠ والأمثلة فى هذا المجال عديدة جداً ٠٠

لو أن الإنسان الروحى حفظ آية واحدة كل يوم ، كم ستكون محفوظاته فى عام كل مل ؟ ٠٠

بل كم ستكون محفوظاته فى عدة أعوام ؟! و حتى إن حفظ واحدة كل أسبوع ، لا شك سيحفظ ٥٢ آية فى العام ، أو ٥٢٠ آية فى عشرة أعوام ٠ و يعتبر هذا قدر ضئيل جداً يتعبه بسببه ضميره ٠
ويبقى بعد ذلك استخدام الآية التى يحفظها ٠٠ و قد كنت كثيراً ما أقول لأبنائى فى هذا الصدد :

احفظوا الإنجيل ، يحفظكم الإنجيل ٠٠ احفظوا المزامير ، تحفظكم المزامير ٠٠

و لكن كيف تحفظكم ؟ ولداود النبى تأملات كثيرة فى هذا الموضوع ٠
انتقل الآن إلى نقطة أخرى و هى :

٧- التأمل فى الكتاب

ما تقرأه من الكتاب ، و ما تحفظه من آياته ، يمكن أن يكون مجالاً لتأملاتك ٠ تخلط به روحك و فكرك ، و ستجد نتيجة ذلك بما يوحى به إليك ٠ و ترى أن لكل كلمة معانى ودلائل ، تتجدد فى قلبك و تتعدد ، وتدخلك فى جوروحى ٠
نصيحتى لك إذن ، أنك لا تقتصر على مجرد القراءة ، و إنما أدخل إلى أعماقها بالتأمل ، و قد كتبت لك موضوعاً عن التأمل يمكن أن تقرأه ٠ نصيحة أخرى خاصة بقراءة الكتاب و هى :

٨- اقرأ بروح الصلاة

إبدأ القراءة بالصلاة ، طالباً من الله أن يعطيك فهماً ، و يكشف لك مشيئته ٠ و قل كما قال داود النبى فى المزمور الكبير : **"اكشف يا رب عن عينى ، لأرى عجائب (مز ١١٩)** ٠
و اختم القراءة بالصلاة ، طالباً من الرب أن يعطيك قوة للتنفيذ ٠ و كما أعطاك فهماً ، يعطيك رغبة و إرادة ٠
بل اصحب القراءة أيضاً بالصلاة ، و كما يقول الكتاب " و على فهمك لا تعتمد " (أم ٣ : ٥) ٠
حاول بالصلاة أن تستلم رسالة الله إليك ٠
البعض يضع فى ذهنه فكرة مسبقة استقر عليها ، ثم يقرأ ليبحث عن آية تثبت له ما قد استقر فكره عليه ٠ أو يحاول أن يطوع كلام الكتاب لأفكار !! أما أنت فلا تكن هكذا ، إنما اقرأ لكى تتعلم و لكى تعرف ٠

* * *

و يلزمك لذلك روح الأتضاع فى صلاتك ٠٠

الاتضاع الذى تخضع به لتعليم الكتاب ، و تغير و تصحح به فكرك ٠٠ و الاتضاع الذى تطلب به المعرفة ، قائلاً مع داود النبى " علمنى يا رب طرقك ٠ فهمنى سبلك " و كأنك و أنت تقرأ تقول له :

" ماذا تريد يا رب أن أفعل ؟ " (أع ٩ : ١٦) ٠

أما ماذا تفعل ، فهذا ما أريد أن أحدثك عنه فيما بعد

تأثير الكتاب المقدس

مركزه فى بيتك
و تداريب خاصة به

من الآيات الواضحة جداً عن تأثير كلمة الله ، هى قوله تبارك إسمه " هكذا تكون كلمتى التى تخـــرج من فمى ٠ لا ترجع إلى فارغة ، بل تعمل ما سررت به ، و تنجح فى ما أرسلتها لـــه " (أش ٥٥ : ١١) ٠

نعم ، إنه كلمة الله لا ترجع فارغة ٠

إن لها قوتها ، و لها تأثيرها ٠ الذين اختبروا قوة الكلمة فى حياتهم ، يستطيعون أن ينقلـــوا هـــذه القوة إلى غيرهم أيضاً ٠٠ إن القديس بولس الرسول فى شرحه لقوة الكلمة و تأثيرها يقول " كلمة الله حية و فعالة و أمضى من كل سيف ذى حدين ، و خارقة إلى مفرق النفس و الروح و المفاصل ، ومميزة أفكار القلب و نياته " (عب ٤ : ١٢)

* * *

و لعل إنساناً يقول : إذن لماذا اقرأ و لا أتأثر ؟!

يقيناً إن العيب هو فيك أنت ، و ليس فى الكلمة ، إن كلمة الله مثل سيف ذى حدين ٠ بالنسبة إلـــى اللحم يقطعه ، و لكنه لا يقطع الصخر ٠ لذلك قال الرب فى سفر حزقيال النبى " و انزع قلب الحجر من لحمكم ، و أعطيكم قلب لحم " (خر ٣٦ : ٢٦ ٠ فما هو نوع قلبك الذى يستقبل كلمة الله ٠ أهو قلب حجر أو قلب حجر أو قلب صخر ؟ إن عذراء النشيد سمعت صوت الرب يناديها " افتحى لى يـــا أختى يا حبيبتى ، يا حمامتى ، يا كاملتى ، فإن رأسى قد امتلأ من الطل و قصصى من ندى الليل " (نش ٥ : ٢)٠ و مع ذلك لم تفتح ، و اعتذرت بأعذار ٠٠!

* * *

إن كلمة الله حية و فعالة ٠ و لكنها تعمل بالأكثر فى الذين يفتحون قلوبهم لها ، و يريدون أن تعمل فيهم ٠

و مع ذلك فإن كلمة الله إن لم تعمل فيك اليوم ، فقد تعمل بعد حين ٠٠ و لا ترجع فارغة ٠

ستظل راسخة فىعقلك الباطن ٠ و فى وقت ما ، حينما يصبح قلبك مهيئاً لهـــا ، و حينمـــا تكـــون الظروف المناسبة ، تجد الكلمة قد خرجت من ذاكرتك ، و لصقت بقلبك ، و أخذت تعمل عملها ٠

و كأن عدم استجابتك الأولى كانت تصرفاً مؤقتاً ، أو فترة أو لحظة فتور ، تستيقظ بعدها إلى نفسك ٠ مثل عذراء النشيد التى اعتذرت أولاً عن فتح باب قلبها ٠ ثم عادت تقول " حبيبى مد يده من الكوه ، فأنت عليه أحشائى ٠٠ نفسى خرجت عند ما أدبر ٠٠ " (نش ٥ : ٤ ، ٦)

* * *

ليست كل بذرة تلقى على الأرض ، تخرج ثمراً فى نفس الوقت ٠ و ربما بعد أيام أو شهور ٠٠

لذلك اختزن كلام الله فى قلبك و فى ذهنك ، و سيعطى ثمره فى الحين الحسن ٠ و بخاصة إذا كنت تتعهده بالاهتمام ، و تلهج فيه النهار و الليل ، و تحفظه من الموانع التى تعوق عمله ، سواء أكانت موانع داخلية أو خارجية ٠٠ ربما بذرة فى الأرض ، و لم تصل إليها المياه ، فظلت كما هى ، و الحياة فيها و لكنها كامنة ٠ ثم وصلتها المياه بعد أيام ، فبدأت هذه الحياة تنشط و تظهر على وجه الأرض ٠ لذلك ما أجمل قول الكتاب " إرم خبزك على وجه المياه ، فأنك تجده بعد أيام كثيرة " ٠٠

* * *

و لهذا لا تيأس فى الخدمة ، إن لم تلاحظ للكلمة ثمراً سريعاً ٠٠

بل اصبر و انتظر الرب ، و لا تتضجر ٠ فليست كل النفوس من نوعية واحدة ٠ و ليست كلها سريعة الإستجابة ٠ و ليست كل الظروف الخارجية مواتية ٠٠ هناك من يسمع الكلمة فيتأثر بسرعة ٠ و هناك من يحتاج بعدها إلى شرح و إقناع ، و إلى متابعة و حل الإشكالات التى تعترضه فى التنفيذ ٠٠

هناك من يأخذ الكلمة للمعرفة و ليس للحياة ٠

يتناولها بعقله لا بروحه ، ليوسع بها مداركه لا ليطهر بها قلبه ٠٠ و هذا الفارق بين العالم و العابد فالعالم يقرأ الكتاب ويدرسه ، و يشرحه و يفسره كما كان يفعل الكتبة و الفريسيون و هم جلوس على كرسى موسى (مت ٢٣ : ٢) ٠ يعلمون و لا يعملون ٠ أما العابد فيشبه داود النبى الذى كان يقول " خبأت كلامك فى قلبى ، لكيلا أخطئ إليك " (مز ١١٩ : ١١) ٠ هذا كان هدفه من كلام الله

عمله فيك

إن استجبت لكتاب الله و تركت كلمته تعمل فيك ، فماذا تراه سيكون عمل الكلمة الإلهية فيك ؟ إن النتائج كثيرة بلاشك ، فنحاول أن نتتبعها ٠٠

١-إنها تجمع العقل من الطياشة و تشغله بالإلهيات

لو تركت فكرك على سجيته ، فلست تدرى فى أى موضوع يطيش ٠ و لكن القراءة عموماً تجمع العقل من تشتته ، و تركزه فى موضوع القراءة ٠ أما قراءة الكتاب بالذات ، فإنها تهدى الفكر إلى ميناء سليم ٠ و الخشوع فى القراءة يغطى تركيزاً أكثر بسبب توقيرك لكلمة الله ٠ و يكون لهذا التركيز تأثيره الروحى ٠

* * *

٢-قراءة الكتاب تمنحك فهماً و استنارة و معرفة ٠٠

لذلك يقول المرتل فى المزمور " سراج لرجلى كلامك و نوراً لسبيلى " (مز ١١٩ : ١٠٥) ٠ و يقول أيضاً " وصية الرب مضيئة تنير عن بعد " (مز ١٩) ٠ لهذا نحن نوقد الشموع و نحملها أثناء قراءة الإنجيل ، متذكرين هذه الاستنارة ٠ أما عن الفهم فيقول المرتل : **" شهادات الرب صادقة ، تصير الجاهل حكيماً "** بل يقول أيضاً " أكثر من جميع الذين يعلموننى فهمت ، لأن شهاداتك هى درسى ٠ أكثر من الشيوخ فهمت ، لأنى طلبت وصاياك " (مز ١١٩ : ٩٩) ٠ بهذا الفهم يتعلم الإنسان طرق الرب ، يعرف كيف يسلك ، و يقتنى موهبة الإفراز و الحكمة ٠ و بخاصة لو اهتم

بمعرفة كيف كان قديسو الكتاب يسلكون ، و كيف كانوا يتعاملون مع الله و مع الناس ٠ و أخذ من تصرفاتهم أمثولة لحياته يقتدى بها (عب ١٣ : ٧) ٠

٣- بل قراءة الكتاب ترشده أيضاً إلى العقيدة السليمة ٠

و ذلك إذا قرأ بفهم و تحت إرشاد ٠ و كل عقيدة حفظ لها آية أو بضع آيات ٠ و صارت آيات الكتاب تحفظه من البدع و الهرطقات و من كل تعليم خاطئ ٠ و هذا ما كان يفعله آباء الكنيسة الكبار أبطال الإيمان ٠ إذ كانوا يقاومون البدع عن طريق فهمهم للكتاب و محصول الحفظ العجيب لآياته فى أذهانهم ٠

* * *

٤-الكتاب أيضاً يرشد قارئه إلى حياة التوبة إلى النمو الروحى ٠

فى ضوء وصاياه ، يمكن أن يصل إلى محاسبة النفس بطريقة سليمة ، فيكتشف صعفاته و خطاياه ٠ و يعرف أن المطلوب منه ليس هو فقط التوبة عن الخطية ، بل بالأكثر حياة القداسة و الكمال حسب قول الرسول " نظير القدوس الذى دعاكم ، كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة ٠ لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس " (١بط ١ : ١٥ ، ١٦) (لا ١١ : ٤٤) ٠ و يقول الرب أيضاً " فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) ٠

ويشرح الكتاب بالتفصيل حياة التوبة و القداسة و الكمال ، و يقدم لها مثلاً ٠ و من الناحية العكسية يقول : **" تضلون إذ لا تعرفون الكتب " (مت ٢٢ : ٢٩) ٠**

٥-و قراءة الكتاب تمنح العقل و الإرادة لوناً من الاستحياء ، إذا تعرض الإنسان لإغراء الخطية ٠ إذ كيف أن فكره الذى تقدس بكلام الله و بالجو الروحى أثناء قراءته ، يعود و يتدنس بفكر الخطية

* * *

٦-و فى محاربات الشيطان ، يستطيع الإنسان أن يرد على الخطية بالوصية ٠

و ذلك حسبما شرح القديس ماروأوغريس فى كتابه عن حروب الأفكار ٠٠ فإذا ضاع وقتك فى الثرثرة و الكلام الكثير ، تذكر قول الكتاب " إن كثرة الكلام لا تخلو من معصية " (أم ١٠ : ١٩) ٠ و قول المرتل " ضع يا رب حافظاً لفمى و باباً حصيناً لشفتى " ٠

و إذا حوربت بالغضب تذكر قول الرسول " ليكن كل إنساناً مسرعاً إلى الاستماع ٠ مبطئاً فى التكلم ، مبطئاً فى الغصب ٠ لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله " (يع ١ : ١٩ ، ٢٠) و أيضاً قول الكتاب " لا تصطحب غضوباً ، و مع صاحب سخط لا تجئ " (أم ٢٢ : ٢٤) ٠

و إذا حوربت بالنظر الشهوانى ، تذكر قول الرب " كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه " (مت ٥ : ٢٨) ٠ و تذكر أيضاً قول أيوب الصديق " عهدا قطعت لعينى ، فكيف أتطلع فى العذراء " (أى ٣١ : ١)

وهكذا كانت آيات الكتاب ثابتة فى ذهنك و فى قلبك ، تستطيع أن تسترجعها ، و ترد بها على كل حرب روحية يحاربك بها العدو ٠٠ مجرد تذكر الوصية يخجلك ، و يرد قلبك عن ارتكاب الخطية ٠ و غالباً الشخص الذى يخطئ ، يكون وقتذاك فى حالة نسيان لوصايا الله ٠ محبة الخطية قد خدرته

* * *

٧- كلام الكتاب أيضاً يعزيك فى ضيقاتك ، و يقويك كلما ضعفت ٠

و كثيراً ما كان داود النبى يقول فى مزاميره للرب " و على كلامك توكلت " (مز ١١٩ : ٨١) ٠ و يقول له أيضاً " اذكر لعبدك الذى جعلتنى عليه أتكل ، هذا الذى عزانى فى مذلتى " (مز ١١٩) ٠٠ و كلما كان يتعرض لهجمات الأعداء كان يقول " لولا أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا ، لابتلعونا و نحن أحياء ٠٠ نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين ٠ الفخ انكسر و نحن نجونا ٠ عوننا من عند الرب الذى صنع السماء و الأرض " (مز ١٢٣)٠

ما أكثر كلام الكتاب عن الرجاء ٠٠

الذى يقرأه و يحفظه ، يستريح قلبه و يجد سلاماً ، بل كما قال الرسول " فرحين فى الرجـــاء " (رو ١٢ : ١٢) ٠٠ إن و عود الله فى كتابه المقدس ، تعطى النفس اطمئناناً عجيباً ، مثل قوله " ها أنا معكم كل الأيام و إلى انقضاء الدهر " (مت ٢٨ : ٢٠) ٠ و قوله " و أما أنـــتم ، فحتـــى شـــعور رؤوسكم محصاة ٠ فلا تخافوا " (مت ١٠ : ٣٠ ، ٣١) ٠ و قوله " أنا معك ٠ لا يقع بـــك أحـــد ليؤذيك " (أع ١٨ : ١٠) ٠٠ و ما أكثر الآيات ٠ ليتك تجمعها و تحفظها ٠٠ ويعوزنى الوقت إن تكلمت ، ولا تكفي الصفحات .

* * *

٨ ــ فالكتاب فيه كل شئ ، لكل أحد ، في كل حالة .
أياً كانت ظروفك ، أياً كانت حالتك النفسية ، فسوف تجد في الكتاب رسالة لك تريحك . تجد فيه كـــل ما يلزمك ، وما يناسبك . يكفي مثلاً كتاب (المزامير) فيه كل ألوان المشاعر والصلوات . وســـفر الأمثال فيه كل أنواع النصائح . وكل سفر يحوي لك رسالة معينة إن أحسنت انتقاءها وفهمها ...

استخدامك للكتاب

١ ـ يمكنك أن تستخدمه أولاً كمادة للصلاة .
فبالإضافة إلى صلاتك قبل القراءة وبعدها ، فإن قراءة الكتاب تشعل فيك مشاعر معينة تجد نفسك محتاجاً أن تحولها إلى صلاة . وكذلك فإن قراءة سفر كالمزامير مثلاً يعلمك كيف تصـــلي ، ومنـــه تعرف أسلوب التخاطب مع الله . ونفس الوضع في قراءاتك لصلوات رجال الله في الكتـــاب ، مثـــل صلاة دانيال النبي (دا٩) . وصلاة عزرا (عز٩) ، وأيضاً صلاة نحيما (نح١) وصلاة سليمان (١مل٨) ، وصلاة يونان في بطن الحوت (يون٢) . وتسبحة العذراء (لو١) . وباقي التســـابيح والصلوات التي في الكتاب .

* * *

٢ ـ ويمكن أن يكون الكتاب مادة للتأمل :
بأن تتخذ حادثاً من الأسفار التاريخية مجالاً للتأمل ، أو إحدي المعجزات ، أو مثلاً ، أو آية . وتخلط بكل ذلك قلبك وفكرك ، وتسجل تأملاتك .

* * *

٣ ـ أو تتخذ وصايا الكتاب مجالاً للتداريب الروحية .
بما يناسب مستواك واحتياجك الروحي ، لكي تنمو في حياة الفضيلة . وستجد شرحاً طويلاً لهذا في مقالنا عن التداريب الروحية .

* * *

٤ ـ أو تتخذ من قراءة الكتاب مجالاً للتوبة .
فإن قرأت مثلاً قول الرب " إن قدمت قربانك إلى المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، أترك هناك قربانك قادم المذبح ، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك " (مت٥ : ٢٣ ، ٢٤) ، تجد في داخلك دافعاً قوياً أن تذهب لتصالح من أسأت إليهم . وإن قرأت آيات عن النذر (جا٥ : ٤ ، ٥) ... تجـــد أنك ملزم أن توفي للرب نذورك التى تأخرت في دفعها .

٥ ـ يمكن أن تتخذ كثيراً من الآيات مجالاً للحفظ .

١. احفظوا بعضاً من الفصول الأساسية الهامة في الكتاب :

ومن أمثلة ذلك العظة على الجبل ، دستور المسيحية (متى٥ ــ ٨) وفصل المحبة (١كــو١٣) ، والوصايا الجميلة في (رو١٢) ، وصلاة المسيح الطويلة قبل ذهابة إلى جثســياني (يــو١٧) . وبعض أحاديث المسيح مع تلاميذه (يو١٤ ــ ١٧) .

٢. دربوا أنفسكم وأولادكم على حفظ آيات على الحروف الأبجدية .

آيات تبدأ بحروف أسمائكم ، أو أسماء القديسين ، أو الصفات الفاضلة ، أو آيات كلمة مناسبة كنيسة ، تربية كنسية ، كهنوت ..

٣-يمكن حفظ آيات ترد فيها كلمات معينة :

كأن تقول للولد : قل آيات خاصة بالحجرة (كرسى - فراش - أرض - مصباح - باب - نور) و أو آيات عن أعضاء جسمه (وجه - عين - شفتان - رجل - يد ..) .

٤-يمكن أيضاً حفظ آيات موضوعية :

آيات عن الفرح ، العزاء ، الوداعة .. آيات لمحاربة بعض أفكار . آيات لتشجيع يائس ، أو لنصح خاطئ ، أو للشكر ..

٥-يمكن التدرب على استخدام آيات أثناء الحديث مع الناس .

لتكن لغة الكتاب حاضرة فى فمك تستخدمها فى كلامك و أحاديثك و قصصك . بهذا لا تخطئ كثيراً ، كما أنك تكون قدوة . كذلك فى كل موقف ، فى كل مشكلة ، حاول أن تتذكر آية ..

٦-يمكن أيضاً عمل نوتة للآيات المختارة : أكتب فيها الآيات التى تؤثر فيك ، و التى تمثل خطــة عمل . ثم احفظها .

أريد أن أعمل لكم مسابقة فى الحفظ، أو أن نخرج لكم كتيبات تساعد على حفظ الآيات فى شتى الموضوعات ..

و هنا أضع أمامك قول الرب فى سفر التثنية : " لتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم علــى قلبك ، و قصها على أولادك . و تكلم بها حين تجلس فى بيتك ، و حين تمشى فى الطريق ، و حين تنام و حين تقوم .. و اكتبها على قوائم أبواب بيتك و على أبوابك " (تث ٦ : ٦ - ٩) .

* * *

فما مدى تنفيذك لهذه الوصايا ؟

أ-هل هناك آيات مبروزة و معلقة على جدران بيتك ، تحفظها أنت وزوجتك وأولادك

ب-هل تعلم أولادك ما فى الكتاب حسب قوله " وقصها على أولادك " ، أم تعتمد على مدارس الأحد و تخلى نفسك من المسئولية ؟! و يدرك الأبناء أن والديهم لا يحدثونهم أبداً عن كلمة الله !!

ج-هل تستخدم لغة الكتاب فى أحاديثك المنزلية ،حسب الوصية " و تكلم بها حين تجلس فى بيتك " ؟

د-هل تقرأ الكتاب يومياً مع أفراد أسرتك ؟ و هل لكم اجتماع عائلى حول الكتاب ؟

ه-هل تقيم لأولادك مسابقات فى حفظ الآيات ، و هل تدربهم على ذلك ؟ ..إنى أسأل قبل أن يسألك الله فى ذلك .

الباب الثالث
قراءة
سير القديسين

قراءة سير القديسين من أهم الوسائط الروحية التى تستخدمها النعمة لتنمية علاقتنا مع الله ، اشعال محبتنا له و ملكوته ٠

و هى تقدم لنا التنفيذ العملى للمبادئ الروحية ٠

ربما تبدو لنا كثير من الوصايا و التعاليم و كأنها مبادئ نظرية ٠ و لكننا نراها فى سير القديسين فى الواقع العملى ، منفذة بصورة واضحة و فى ظروف مناسبة لها ٠

و هكذا ترينا القديسين أن وصايا الرب سهلة و ممكنة ، و ليست مثاليات نظرية ٠

فكثيراً ما يقول البعض فى استغراب : من يستطيع أن ينفذ هذه المثاليات ؟! هل حقاً يمكن لإنسان أن يحول الخد الآخر لمن بلطمة على خده ؟! (مت ٥ : ٣٩) ٠ هل يمكن أن يصلى إنسان كل حين و لا يمل (لو ١٨ : ١) ؟! و أن يصلى بلا انقطاع ! (١تس ٥ : ١٧) ٠ و هل يمكن أن يعطى الإنسان كل ماله للفقراء ؟! (مت ١٩ : ٢١) ٠ هذه الأسئلة مع الكثير من أمثالها ، نراها جميعاً مجابة و ممثلة فى سير القديسين ٠

* * *

و لقد سمح الله أن يقدم لنا هؤلاء القديسون أمثلة عالية فى كل فضيلة من الفضائل بلا استثناء

و بطريقة مذهلة حقاً ، تدعو إلى الاعجاب الشديد بروحانية أولئك الأبرار ، حتى و كأنهم كانوا ملائكة أرضيين ، ارتفعوا فوق مستوى المادة و الجسد ، و عاشوا بالروح مع الرب ، فى حياة نصرة كاملة على كل حروب العدو ٠ أو تقول إنهم عادوا إلى الصورة الإلهية التى خلق بها الإنسان منذ البدء ٠٠ فحياتهم تشجع كل إنسان أن يسير فى النهج الروحى ، بلا خوف ، و بلا تردد ٠

بحيث نقول فى ثقة حينما نقرأ عنهم : الله قادر أن يعيننا كما أعانهم ٠٠

حياة البر إذن ممكنة و سهلة و متاحة ، لكل من يطلبها ٠ و نعمة الله مستعدة أن نعمل فى كل قلب ، و ترفعه إلى أسمى درجة ، مهما كانت حالته الأولى ٠٠ فروح الله الذى كان يعمل ، و يقود النفوس نحو الله ، و يمنحهم كل الإمكانيات و المواهب ٠

* * *

فما عمله القديسون ، هو ما عمله روح الله معهم ٠ أترانا نقرأ عنه أم عنهم فى هذه السير ؟

أم القصص التى وردت فى سير القديسين ، إنما تحكى " عن شركة الروح القدس " (٢كو ١٣ : ١٤) ٠ أو هى قصة (الله مع الناس) ٠ عمل الله معهم ، أو عملهم معه ٠ يبدأ الله فيستجيب الناس ، أو يتجه الناس نحو الله ، يجذبهم إلى أحضانه بكل قوة ٠ أو هى صورة لتلك العبارة فى سفر النشيد " اجذبنى وراءك فنجرى " (نش ١ : ٤) ٠

* * *

لقد كان لسير القديسين تأثير عميق فى الجميع على مدى الأجيال ٠

فقصة حياة القديس الأنبا أنطونيوس التى كتبها القديس أثناسيوس الرسولى ، كان لها تأثير عجيب فى أهل رومه ، حتى كانت سبباً فى انتشار الرهبنة هناك ٠ و لما قرأها القديس أوغسطينوس تأثر بها جداً ، و قادته إلى التوبة ٠ كذلك فإن تأثير سير الرهبان فى برية شيهيت ، جذب إليهم السواح من كافة البلاد ، ليروا هؤلاء الذين عاشوا على الأرض و كأنهم فى السماء ٠٠ فجاءوا إليهم ، ليسمعوا من أفواههم كلمة منفعة ، و كتبوا قصصهم أو بعضاً منهم ، فحفظها التاريخ ٠

* * *

إن هؤلاء القديسين لم يكتبوا أى كتاب عن حياتهم ٠ و لكن حياتهم كانت هى أشهى كتاب ٠

كانت التاريخ الحى الذى قرأه جيلهم ، و عاش به و نقله إلى باقى الأجيال ٠

و الوحى الإلهى نفسه نقل إلينا سير كثير من الأنبياء و الرسل ، حتى تسمت بأسمائهم بعض الأسفار المقدسة ، التى شرحت لنا عمل الله فيهم ، ورسالتهم التى كلفهم الله بها ، و سيرتهم المقدسة ٠

* * *

و قد اهتمت الكنيسة جداً بسير القديسين ٠

فوضعتها فى كتاب اسمه السنكسار ، لكى تقرأ منه فى كل قداس إلهى ، سيرة واحد منهم أو أكثر ، لتعزيتنا و تعليمنا ٠ و تقرأ أيضاً على المؤمنين جزءاً آخر من سير آبائنا الرسل الأطهار من (الأبركسيس) ، أى سفر " أعمال الرسل " ٠ و ما أكثر ما تقيم الكنيسة أعياداً لأولئك القديسين ، تحتفل فيها بذكراهم ، و تعيد على الآذان و الأذهان سيرهم و فضائلهم ٠

و كذلك أيقوناتهم فى الكنائس ، و ما يوضع أمامها من شموع ، إنما تعيد إلى الذاكرة سير أولئك القديسين ، لتكون غذاء للروح و مجالاً للتأمل فضائلهم ٠ و ما أجمل قول ماراسحق :

" شهية هى أخبار القديسين ، مثل الماء للغروس الجدد" ٠

كانت التاريخ الحى الذى قرأه جيلهم ، و عاش به و نقله إلى باقى الأجيال ٠ و الوحى الإلهى نفسه نقل إلينا سير كثير من الأنبياء و الرسل ، حتى تسمت بأسمائهم بعض الأسفار المقدسة ، التى شرحت لنا عمل الله فيهم ، ورسالتهم التى كلفهم الله بها ، و سيرتهم المقدسة ٠

* * *

و قد اهتمت الكنيسة جداً بسير القديسين ٠

فوضعتها فى كتاب اسمه السنكسار ، لكى تقرأ منه فى كل قداس إلهى ، سيرة واحد منهم أو أكثر ، لتعزيتنا و تعليمنا ٠ تقرأ أيضاً على المؤمنين جزءاً آخر من سير آبائنا الرسل الأطهار من (الأبركسيس) ، أى سفر " أعمال الرسل " ٠ و ما أكثر ما تقيم الكنيسة أعياداً لأولئك القديسين ، تحتفل فيها بذكراهم ، تعيد على الآذان و الأذهان سيرهم و فضائلهم ٠

و كذلك أيقوناتهم فى الكنائس ، و ما يوضع أمامها من شموع ، إنما تعيد إلى الذاكرة سير أولئك القديسين ، لتكون غذاء للروح و مجالاً للتأمل فى فضائلهم ٠ و ما أجمل قول ماراسحق :

"شهية هى أخبار القديسين ، مثل الماء للغروس الجدد " ٠

إنها غذاء روحى لا يستغنى عنه أحد ، يجلب لنا الشعور بمحبة الله ، ومحبة طرقه التى تؤدى إلى الملكوت ٠٠ و تجعلنا أيضاً نحب الفضيلة ، و نحب أولئك الأبرار ، و نتخذهم لنا آباء و شفعاء ، و نحرص أن نعمق علاقتنا بهم ، و كأنهم أحياء يعيشون معنا على الأرض ، نتحدث إليهم و نطلبهم ٠

* * *

و من محبتنا لهم و لسيرتهم ، نتسمى بأسمائهم ٠

و نشكر الله أنه فى أيامنا هذه ، كثر التسمى بأسماء القديسين ن نسمى بها أطفالنا ، لينشأوا محبين للقديسين ، و أيضاً اعترافاً منا بمحبتنا لهم و إعجابنا بسيرتهم ٠٠ و نفس الوضع حينما يدخل أحد فى حياة التكريس ، راهباً او كاهناً ، يتسمى باسم أحد هؤلاء القديسين ، إعترافاً منا بالسيرة المقدسة التى لهذا الإسم الحسن ٠ وأود فى هذا المقال أن أسجل بعضاً من التاثير الروحى لسير القديسين :

* * *

التأثير الأول هو القدوة

و هذا ما قاله القديس بولس الرسول " اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله ٠ انظروا إلى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بإيمانهم " (عب ١٣ : ٧)٠

و هنا نجد أمامنا منهجاً واسعاً جداً ٠ فكل فضيلة يريد إنسان أن يقتنيها ، نجد مجموعة من القديسين يرشدونهم بحياتهم إلى كيفية السلوك فيها ، و يقدمون لنا مثالاً عملياً ، و حافزاً يجذبه إليها ٠٠ على أننى أحب هنا أن أضع ملاحظة هامة و هى :

* * *

علينا أن نقتدى بالقديسين فيما هو ممكن لنا ٠

فمثلاً قد لا تكون حياة الاستشهاد متاحة ٠ و لكننا نقتدى بالشهداء فى قوة إيمانهم ،فى شجاعتهم ، فى احتمالهم للإيمان ، و فى الاستعداد للأبدية ، و عدم محبة العالم و لا التمسك به ٠٠ و كل هذا ممكن لنا

و قد لا نستطيع الصلاة الدائمة ، كما كان يفعل القديس أرسانيوس الكبير ، أو القديس مقاريوس الاسكندارنى ٠٠ و لكن على الأقل ليكن لنا محبة الصلاة و الاستمرار فيها على قدر قامتنا الروحية٠

و لنعلم أن حياة قديسى البرية غير حياتنا فى العالم ٠ فلا نقلدهم فى طى الأيام صوماً ، الأمر الذى أتقنوه بعد سنوات طويلة من التدريب الروحى ، و ساعدتهم عليه حياة السكون ٠٠

* * *

إنما ليكن اقتداؤنا بهم فى تلك الفضائل العالية تحت ارشاد روحى ، و بتدرج حكيم ٠

و هناك فضائل أخرى متاحة للجميع ، مثل الاتضاع ، و الوداعة ، و الهدوء ، و خدمة الآخرين و احتمالهم ، و عدم الغضب ، و ما يشبه ذلك ٠

أما الصمت الكامل ، فلا يناسبك ، إنما تأخذ منه : الكلام عند الضرورة ، و الكلام بقدر ، و اختيار الكلمة المناسبة ، و الكلمة البناءة النافعة ٠٠

فلا تقلد الفضيلة تقليداً كاملاً لا يناسبك و لا تقدر عليه ٠ و لا ترفضها بالتمام فى يأس ٠ و إنما خذ منها بقدر ، و بحكمة ، و بتدرج ، و تحت إرشاد ٠٠

* * *

خذ الفضيلة فى روحها ، لا فى شكلها :

فحينما تقرأ مثلاً عن قديسى التوبة ، حاول أن تكون مثلهم فى حرارة توبتهم ، و فى عدم عودتهم مطلقاً إلى الوراء ٠ و تمثل بهم فى إنسحاق قلوبهم و فى دموعهم ٠ و لكن لا تقلد تقليداً حرفياً الذين قادتهم التوبة إلى الرهبنة مباشرة مثل بيلاجية و مريم القبطية و موسى الأسود ، و أوغسطينوس ٠٠

خذ محبة التائب لله ، و عودته إليه ، و عميق ندمه ، و اشمئزازه من الخطية ٠٠ و لكن عش فى حدود شخصيتك و امكانياتك ، و ما أعطيته من النعمة ٠٠

* * *

التأثير الثانى لسير القديسين هو تقوية الإيمان

سواء ما تقدمه سير الشهداء و المعترفين من التسمك بالإيمان ، إلى حد الموت من أجله ، أو قبول كل صنوف التعذيب ، برضى و فرح و صبر ٠٠

أو ما تقدمه سير أبطال الإيمان الذين دافعوا عن العقيدة ، بكل قوة و كل فهم ، محتملين فى سبيلها السجن والنفى و التشريد و كافة ألوان الاضطهاد ، كالقديس أثناسيوس الرسولى مثلاً : الذى نفى عن كرسيه أربع مرات ، واتهموه اتهامات شنيعة ، و صدرت ضده أحكام ، و قيل له " العالم كله ضدك يا أثناسيوس " ٠٠

* * *

نقرأ عن ذلك فيتبكت هذا الجيل ، الذى لا يبالى بالخلاف فى المذهب أو العقيدة ، و ينسى ما تحمله القديسون من آلام فى سبيل ذلك !!

كانت المجامع المحلية و المسكونية تقام بسبب نقطة خلاف واحدة ٠ و يبذل القديسون كل جهدهم فى الدفاع عن الإيمان و فى إثبات العقيدة السليمة ٠ و الآن من أجل زواج أو طلاق ، يمكن أن يغير إنسان مذهبه ، بكل سهولة وبلا مبالاة ، أو بجهل !! أو يختلف شخص مع أحد رجال الكهنوت ، فيترك الكنيسة كلها ، بكل إيمانها و عقيدتها ٠ ولا يبالى بكل جهاد القديسين فى سبيل ذلك الايمان ٠

* * *

لذلك نحن محتاجون إلى قراءة سير القديسين أبطال الإيمان ، لتغرس فى نفوس الجميع أهمية الإيمان و الثبات فيه ، و نبذ ما يسمى باللاطائفية !!

إن الكنيسة ليست طائفة ، و لا هى مجموعة طوائف ، و لكنها جماعة المؤمنين بايمان سليم فى كل تفاصيله ٠٠

هذا الإيمان الذى استشهد من أجله قديسون فى جميع الأجيال ، و الذين تألم بنسببه و تعذب عدد كبير من القديسين ٠ و من بينهم رهبان عاشوا فى البرية الجوانية ٠ و لكن عاشوا فى الأيمان ٠ و ما أجمل الرمز الذى يحويه تكفين الأنبا السائح فى رداء البابا أثناسيوس بطل الإيمان ٠٠

التأثير الثالث لسير القديسين هو غرس مشاعر الاتضاع و الاسحق

فكلما نقرأ عن هذه القمم العالية ، و ما وصلوا إليه ، تتضع نفوسنا فى الداخل ، و نشعر أننا لا شئ إلى جوارهم ٠٠

حينما نقرأ عن القديس الأنبا ابرام فى العطاء ، ألا تنسحق نفوسنا ؟ هذا الذى كان يعطى كل شئ ٠ و لا يبقى لنفسه شيئاً ٠ حتى أن البعض أعطاه مرة قطعة قماش أسود ليفصلها ثوباً له بدلاً من جلبابه البالى ، فوهب قطعة القماش هذه لأرملة زارته ٠٠ أو ماذا نقول عن الأنبا يوحنا الرحوم الذى باع كل ما كان له و أعطاه للفقراء٠و لما لم يجد شيئاً يملكه ، باع نفسه عبداً ، و تبرع بثمن نفسه للفقراء ٠٠!! آلا تتضع نفوسنا ، حينما نقارن عطاءنا بعطاء هؤلاء ؟!

* * *

حقاً إن سير القديسين تطرد من نفوسنا كل محاربات الكبرياء و المجد الباطل ، إن حاربنا العدو بها٠

إن حاربتنا أفكار من جهة خدمتنا ، و قارنا أنفسنا بسيرة بولس الرسول الذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥ : ١٠) ٠ و بشر فى أورشليم ، و فى إنطاكية ، و آسيا الصغرى ، و اليونان ، و فى رومه ، ووصل إلى أسبانيا ٠ و أسس كنائس ى حصر لها ، و ذاق متاعب لا توصف (٢كو١١)٠ و كان يكتب رسائل ، حتى و هو فى السجن (أف ٤ : ١) ٠٠ ألا تنسحق أنفسنا بهذه المقارنة و أشباهها ؟!

* * *

و مهما أنسحقنا لن نصل إلى اتضاع القديسين

هؤلاء الذين على الرغم من كل فضائاهم ، قيل إنهم كانوا يبكون على خطاياهم !! القديس مقاريوس الكبير بكى و أبكى كل المجمع معه ٠ القديس موسى الأسود ، القديس بيشوى ، القديس باخوميوس الكبير ٠٠ ماذا كان يبكى كل هؤلاء ؟

القديس أرسانيوس الذى كان يقف ليصلى وقت الغروب ، و الشمس خلفه ، و يظل واقفاً فى الصلاة حتى تشرق مرة أخرى من أمامه ، يقال إنه سقطت رموش عينيه من كثرة البكاء ٠ و كان يبلل خوصه بالدموع !! فأين هو اتضاعنا نحن مهما اتضعنا ؟!

القديس مكاريوس الكبير مؤسس الرهبنة بالاسقيط سألوه بعد رؤيته لسائحين فى البرية الجوانية ، فقال " أنا لست راهباً ــ و لكنى رأيت رهباناً "٠٠!! القصص أمامنا لا تنتهى فلعلنا نكتفى بهذه ٠٠

* * *

إننا نحارب بالكبرياء ، حينما نقارن أنفسنا بأمثلة حية ، تظن أننا أعلى منها !! أما حينما نقرأ سير القديسين ، فحينئذ يستد كل فم ، و ندرك أننا لا شئ ٠٠

التأثير الرابع لسير القديسين

أنها تعطينا روح الحكمة و الإفراز

تعلمنا الطريق الصحيح الذى نسلك فيه ٠٠ ما أجمل ما نقرؤه عن داود الملك ، حينما أراد أن يشترى مكاناً لبناء الهيكل ووافق أرونه اليبوسى أن يهبه كل شئ بلا مقابل ، حينئذ رفض داود و قال " لا ، بل أشترى منك بثمن ٠ و لا أصعد للرب إلهى محرقات مجانية " (٢صم ٢٤ |: ٢٤) ٠

إننا نتعلم الحكمة أيضاً من أبيجايل : كيف أنها تمكنت من توبيخ داود النبى بطريقة ربحته بها (١صم ٢٥ : ٢٣ ـ ٣٥)

نتعلم الحكمة من سير آباء البرية ، حتى من الشباب ٠ الذين فيهم أمثال القديسين يوحنا القصيرالذى قيل إن الأسقيط كله كان معلقا باصبعه٠ و مثل تادرس تلميذ باخوميوس و من حكمة الشيوخ مثل الأنبا أغاثون و الأنبا ايسيذورس و غيرهم إن حكمة الآباء كنز لمن يتعلم ٠٠

* * *

الدرس الخامس الذى نتعلمه من سير القديسين هو دوام النمو

إنه صعود إلى فوق بغير حدود ٠٠ مثال ذلك بولس الرسول بكل مواهبه و خدمته و صعوده إلى السماء الثالثة ٠ و مع ذلك يقول " ليس أنى نلت أو صرت كاملاً ، و لكنى أسعى لعلى أدرك ٠ أنسى ما هو وراء ، امتد إلى ما هو قدام ٠ اسعى نحو الغرض " (فى ٣ : ١٢ ـ ١٤)

الدرجات العليا التى وصل إليها القديسون فى كل فضيلة ، تحثنا على أن نمتد إلى قدام ، و لا نكتفى مهما وصلنا ٠ فالطريق أمامنا طويل طويل ٠٠ و النعمة مستعده أن تأخذ بأيدينا لنقطع فراسخ أولاً ٠٠ على آثار هؤلاء القديسين ، إذ تعطينا سيرهم حرارة لا تخمد و لا تنطفئ ٠٠

* * *

أمور أخرى كثيرة نتعلمها من تأثير سير القديسين فينا

نتعلم كيف تكون اعترافاتنا اكثر دقة ، إذ نكتشف تقصيرات عديدة فى حياتنا ، بالمقارنة بسيرهم ٠٠

نتعلم ايضاً أسلوب التخاطب مع الله فى الصلاة ، عندما نقرأ صلواتهم ، و ما فيها من دالة ، و مـــا فيها من اتضاع ، و من حب و حرارة ٠٠ نتعلم أيضاً أسلوبهم فى التعامل مع الناس ، و طـــريقتهم فى مواجهة الحروب الروحية ، و أسلوب الانتصار عليها ٠
إن الذى يقرأ سير القديسين ، يصير على الدوام فى تغير مستمر ، إلى أفضل : أسلوبه يتغير كلامه يتغير ، معاملاته تتغير ، محاولاً أن يصل إلى تلك الصورة عينها ٠٠

* * *

و بعد ، أنا لست أدعى مطلقاً أننى وفيت هذا الموضوع حقه ، فهو يحتاج إلى كتاب أو كتب ٠ و كل ما ذكرته هو مجرد أمثلة ٠

و أترك لك أيها القارئ العزيز هذا الخضم الواسع من التأمل فى فوائد سير القديسين ٠
فلا شك أن هذا الموضوع قد يشمل الحياة الروحية كلها ٠٠

* * *

أما المجهول الذى تقوم به أفكارنا و قلوبنا و أرواحنا ٠ فأننا نحسبه كمجرد طلب نرجو به من النعمة أن تفتح عقولنا ، لتستقبل ما يسكبه فيها الروح ٠٠ عملنا هو أن نقدم عقولنا إلى الله ، ليملأها بالفهم الذى من عنده ، و ما أعمقه ٠٠ نفتح له الباب ليدخل و نتعشى معه (رؤ ٣ : ٢٠) نعم نتعشى بخبز الحياة النازل من السماء (يو ٦ : ٣٣ ، ٣٥) ، و نحيا به ، بكل كلمة تخرج من فم الله (مت ٤ : ٤)

* * *

إذن الخطوة التى يقوم بها الذهن فى التأمل ، هى فتح الباب للروح ٠

و من هنا فإن بعض الآباء يجعلون التأمل فى عمقه خارجاً عن المجهود البشرى ٠ لاعتباره هبة من الروح القدس ٠ و كما يقول المرتل فى المزمور " فتحت فمى و اقتبلت لى روحاً " (مز ١١٩) ٠
أو التأمل هو تلمذة على الروح القدس ٠ هو تدرب كيف تأخذ من الروح ما يريد أن يعطيك ٠
و ليس هو مجرد كد للذهن ليفهم ، و لا هو مجرد اعتماد على ذكائنا و قدراتنا ، فقد قال الكتاب " و على فهمك لا تعتمد " (أم ٣ : ٥)

* * *

إن التفكير العقلى المحض ، الخالى من عمل الروح ، لا ينتج تأملاً ٠٠ إنه قد ينتج علماً أو فلسفة ، و ليس تأملاً

و هنا نفرق بين العالم و العابد ، بين الدارس و المتأمل ، بين الباحث فى الكتب و المستقبل من الروح إن التأمل ليس هو مجرد فكر ، إنما هو خلط الفكر بالقلب ، و ترك العقلى كمجرد أداة فى يد الروح ٠ ثم تبتهل الروح لتأخذ من روح الله ٠ و ما تأخذه ، تعطيه للعقل عن طريق القلب ٠
و حينئذ ندرك قوة الكلمة ، لأنها تأخذ من الروح قوة ٠٠ فلا تقف يا أخى عند مستوى العقل ، بل اتخذ العقل وسيلة و توصلك إلى الروح ٠ و الروح توصلك إلى الله ، الذى عندى كل كنوز المعرفة فيعطيك ٠٠

* * *

القارئ السطحى قد يقرأ كثيراً و لا يتأمل ٠

أما القارئ الروحى ، فالقليل من قراءته يكون له نبع تأملات لا ينضب ٠

أنه لا يركز على كثرة القراءة ، إنما على ما فيها من تأملات ٠٠ و قد تستوقفه كلمة أو عبارة ، فيغوص فى أعماقها ، و يظل سابحاً فى تلك الأعماق ٠ و هو يقول مع المرتل " لكل كمال رأيت منتهى ٠ أما وصاياك فواسعة جداً " (مز ١١٩) ٠٠ قد يفتح الله قلبه ، فيرى فى الكلمة الواحدة كنزاً عظيماً مهما اغترف منه لا ينتهى ، كما قال داود النبى فى صلواته " فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة " ٠٠٠

* * *

ليتكم كتدريب روحى ، تأخذون كل يوم آية للتأمل ٠

آية من الكتاب ، تكون قد تركت فى نفسك تأثيراً أثناء القراءة ٠ و لكن لا تقف عند حد التأثير ، إنما احفظ هذه الآية ، و خذها مجالاً لتفكيرك و تأملك ، و معطياً فرصة لروح الله أن يمنحك من خلالها شيئاً ٠٠ أو اتخذ قصة معينة من الكتاب مجالاً لتأملك

* * *

إن معاملات الله مع الناس مجال واسع جداً للتأمل ..

سواء معاملة الله لقديسيه الذين أحبهم أو أحبوه ، و كانت بينه و بينهم دالة .. أو حتى معاملة الله للخطاة ، الذين انتفعوا من طول أناة الله و غنى لطفه فتابوا ، أو الذين عاندوا و تقست قلوبهم .. شخصيات الكتاب أيضاً تصلح مجالاً للتأمل .. و ما أكثر الكتب التى وضعت فى هذا المجال ..

* * *

يساعدك على التأمل أيضاً ما تكون قد حفظته من آيات كثيرة من الكتاب المقدس .

تجد نفسك كلما بدأت التأمل ، تأتيك تلك الآيات مرتبه متناسقة ، يكمل بعضها بعضاً . و كل آية تقدم لك معنى خاصاً . و كلها معاً تقدم لك باقة جميلة من التأملات و نتذكر فى تناسقها معاً قول الرسول " قارنين الروحيات بالروحيات " (١كو ٢ : ١٣) .

و بهذا تشغل نفسك أثناء النهار بفكر روحى ..

و يظل هذا الفكر يتعمق فيك . و الفكر يلد فكراً من نوعه ، و يلد أيضاً الكثير من المشاعر و العواطف و التأملات . و يصبح قلبك نقياً تعم فيه كلمة الله ، تنتشر فيه التأملات الروحية .. كما تصحبك أيضا هذه التأملات أثناء الصلاة . بل تطرأ على ذهنك كذلك أثناء حديثك مع الناس . و يلمح المستمعون إليك عمقاً لا يقف عند المستوى السطحى فى أى شئ .

* * *

و هكذا ينفعك التأمل فى تعميق حياتك الروحية .

و لا يقتصر على مجرد الفكر أو الإحساس الروحى ، أو الشعب الداخلى بكل ذلك ، أو اللذة بالمعرفة .. إنما يتطور ليكون له تأثيره على الحياة العملية ..

لذلك إن قرأت ، لا تقف عند حدود القراءة و التأمل فيما تقرؤه فى الكتاب من الوصايا أو سير الأنبياء و الآباء ، ما تقرؤه ، إخلطه بفكرك وروحك و قلبك .. و طبق تأملاتك على حياتك ، و استخرج منها منهجاً تسير عليه ، و يدخل فى علاقتك مع الله و الناس ..

* * *

و لتكن قراءتك مصحوبة بالصلاة ..

كما قال داود النبى فى النبى فى المزمور الكبير " اكشف عن عينى لأرى عجائب من ناموسك " .. و هناك نرى أن التأمل يحتاج إلى كشف إلهى .. و كثيراً ما يقف الإنسان فى حالة أنبهار أمام ما يكشفه الله له .. و قد يقرأ فصلاً من الكتاب يكون قد قرأه من قبل . و لكن تنكشف له معان عديدة لم تخطرعلى ذهنه مطلقاً فى قراءته السابقة ..

و قد يحدث له هذا أيضاً ، أثناء قراءة أو صلاة المزامير . فتنكشف له معانى جديدة . و يتكرر الأمر ذ يصلى نفس المزمور بعد أيام ، فيدرك منه معانى أخرى لم يدركها من قبل ..

و هكذا يفتح له الله طاقات من نور تشرق على ذهنه

لا يعزو ذلك إلى ذكائه أو معرفته ، إنما هى موهبة من الله يسكبها عليه أثناء الصلاة أو القراءة أو التأمل ، و تكون الصلاة مصدراً للتأمل ، أو مصحوبة بالتأمل . كما يكون التأمل مصحوباً بالصلاة .. و تتسع أمامه معانى الآيات ، حتى ما يجد لها حدوداً . إنما فى كل حين يختبر لها أعماقاً ..

* * *

إن لم تكن لك موهبة التأمل ، إقرأ تأملات الآباء القديسين .

قديس عظيم مثل القديس يوحنا ذهبى الفم ، له كتاب فى تفسير إنجيل متى ، و آخر فى تفسير انجيل يوحنا و كتب أخرى فى تفسير أعمال الرسل ورسائل بولس الأربع عشرة .. هذه الكتب مملوءة بالشرح و بالتأملات . و تتبعه فى أسلوب شرحه و تأمله ، و تعلم ..

قديس عظيم آخر هو القديس آوغسطينوس ، عميق جداً فى تأملاته ، و فى رقة أسلوبه ٠ له كتاب تأملات فى الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول ، و له كتاب تأملات فى المزامير ، و عظات على فصول كثيرة من الأناجيل ٠ و غالبية كتاباته حافلة بالتأملات ٠ اقرأ له ، و تعلم ٠٠
و هكذا مع باقى القديسين فى كتاباتهم ، و بخاصة الذين اشتهروا بالتأمل ، و ليس فقط بعمق التعليم ٠٠ مثل القديس مارافرام السريانى ، و القديس يعقوب الروجى و القديس ديديموس الضرير و غيرهم ٠ اقرأ لهم ، و انتفع بتأملاتهم ، و اتخذهم مدرسة فى التأمل ٠٠

* * *

بل تدرب أيضاً على الآباء الذين اشتهروا بالتفسير الرمزى للكتاب ٠٠

ستجد عمقاً كبيراً فى كتابات هؤلاء الآباء لأنهم لا يقتصرون على المعنى الحرفى لآيات الكتاب ، إنما يدخلون إلى العمق ، و إلى ما تحمله الآيات من اشارات بعيدة لأمور أخرى ٠٠
و بهذا أيضاً يمكن فهم أسفار النبوات ، و سفراً مثل نشيد الأناشيد ٠٠ و يمكننا أن نفهم ما ورد فى الكتاب عن الذبائح و التقدمات و الأعياد ، و الشرائع الخاصة بالنجاسات و التطهير ، و شرائع أخرى قال عنها بولس الرسول إنها كانت " ظلاً للأمور العتيدة " (كو ٢ : ١٧) ٠

* * *

ادخل فى تدريب التأمل ، لأنه يشغل ذهنك بشئ صالح ، بدلاً من أن تترك الفكر بيسرح فى أمور خاطئة ٠

أو يسرح فى أمور زائلة ٠٠ لا نفع فيها ٠٠ و تأكد أن ذهنك لن يكف عن التأمل ٠ إنما يتوقف تأمله على نوع المادة المقدمة إليه ، خيراً كانت أم شراً ٠ سواء قدمتها أنت له من داخل قلبك و فكرك ، أو قدمتها لك البيئة المحيطة بك ٠٠ و فالأفضل أن تقود تفكيرك فى تأملاته ٠٠

* * *

و اعرف أن موهبة التأمل هى للكل ، و ليست للقديسين فقط ، بل حتى للخطاة ٠٠

أولئك قد تكون لهم قدرة عجيبة على التأمل ، و إنما فى مجال الخطية ٠ فالخاطى الذى يحب خطية معينة ، ما أسهل أن يسرح فيها و يتأملها بعمق ، و تملك على فكره و قلبه و مشاعره ، و يؤلف فيها قصصاً و أفكاراً ٠ كما كان يفعل بعض الأدباء و الشعراء و مؤلفو الروايات ٠ إنه لون من التأمل ، و لكنهم استخدموه فى الخطية ٠
أما القديسون فتأملاتهم تكون فى موضوعات روحية ٠ كذلك فإن الخطاة الذين يتمتعون بموهبة التأمل ، إذا تابوا ، و أداروا موهبة تأملهم فى مسار روحى ، حينئذ يظهر عمقهم و تأثيرهم الطيب و نذكر كمثال لذلك القديس أوغسطينوس فى حياة التوبة و النمو الروحى ، و حتى فى كتاب اعترافاته و ما فيه من عمق ٠٠

و القراءة إحدى الوسائل التى توجد التأملات ٠٠

و قد حدثناك عن القراءة فى الكتاب المقدس ٠٠ و نضيف إلى ذلك أيضاً قراءة الكتب الروحية و سير القديسين ، التى تحتاج منا إلى شرح أوفر ٠

* * *

إنما تذكر باستمرار أن التأمل يعودك العمق ٠

و يبعدك عن السطحية ، و يقدم لك غذاء روحياً نافعاً لبنيانك الداخلى ، و يمنحك حكمة ، و يجعلك تتلامس مع عمل الله فيك ٠٠

* * *

التأمل فى الطبيعة

أول آية وردت فى الكتاب المقدس عن التأمل ، هى ما قيل عن أبينا اسحق بن ابراهيم إنه " خرج اسحق ليتأمل فى الحق عند إقبال المساء " (تك ٢٤ : ٦٣) ٠ و لعل هذا يقدم لوناً من التأمل فى الطبيعة ٠

* * *

ليس مجرد التأمل فى جمال الطبيعة ، إنما بالأكثر فيما تقدمه من روحيات ، حسب قول المرتل فى المزمور : السماوات تحدث بمجد الله ، و الفلك يخبر بعمل يديه (مز ١٩ : ١) ٠ و هنا نتدرج من الطبيعة إلى عظمة الله خالقها ، أو إلى حنو الله المهتم بها ٠ استمع إلى الشاعر و هو ينشد :

هذى الطبيعة قف بنا يا سارى
حتى أريك بديع صنع البارى

لقد كانوا يدرسون الفلك قديماً فى الكليات اللاهوتية ٠ لأن النظام العجيب الدقيق الذى فيه ، يثبت وجود خالق كلى القدرة استطاع أن يوجده ٠ حتى أن أحد الفلاسفة لقبة بالمهندس الأعظم ٠٠

فإن كانت السماء المادية مجالاً عظيماً للتأمل ، فكم السماء التى هى عرش الله (مت ٥ : ٣٤) ٠

وهنا ما أجمل ما رآه يوحنا الحبيب فى سفر الرؤيا ، و بخاصة حينما قال " أبصرت و إذا باب مفتوح فى السماء " (رؤ ٤ : ١) ٠ يضاف إلى هذا ما شرحه أورشليم السمائية ، مسكن الله مع الناس (رؤ ٢١) ٠٠ إن التأمل فى السماء و السماويات ، لا شك يرفع عقل الإنسان و قلبه إلى فوق ، يسمو به كثيراً عن مستوى المادة و الجسدانيات ٠٠

* * *

و يرتبط بالتأمل فى السماء ، تأمل آخر فى الملائكة ٠٠

و فى كل القوات السمائية : الشارافيم ، و الأرباب و العروش ، ورؤساء الملائكة ، و تلك الألوف و الربوات التى أمام العرش الإلهى ، و كذلك الملائكة " المرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب ١ : ١٤) ٠ ما طبيعة الملائكة ؟ و ما هى روحيتهم و قدسيتهم و محبتهم و طاعتهم (مز ١٠٣) (مز ١٠٤) ؟ و ما هى خدمتهم لله و للناس ؟ و ماذا ستكون علاقتهم بنا فى الأبدية ؟ بل ما هى قصصهم التى وردت فى الكتاب و فى سير القديسين ٠٠ و هنا يسبح الفكر فى العالم روحى ٠٠

فإن كان هذا التأمل عميقاً علينا ٠٠

لنتأمل فى أرواح القديسين الذين انتقلوا ٠٠ كما حكى لنا الرب عن أبينا ابراهيم ، و لعازر المسكين فى حضنه ٠ سواء فى ذلك تأملنا فى القديسين الذين مع الرب فى الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣) ، أو الذين يرسلهم الرب فى خدمات فى الأرض مثل العذراء و مارجرجس و غيرها ٠ ودرجات كل هؤلاء ، و كيف أن نجماً يفوق نجماً فى المجد (١كو ١٥ : ٤١) ٠٠

ثم ماذا عن القيامة و الأجساد الروحانية النورانية السماوية (١كو ١٥ : ٤٢-٥٠) ؟ و ماذا عن الأبدية و المجد العتيد ، و الملكوت ، و مراتب القديسين و علاقاتهم ، و الملك المعد لنا فى النعيم الأبدى ٠

فإن لم نستطع كل هذا لنهبط إلى الأرض ، نتأمل فى الخليقة المحيطة بنا ، كما قال الرب :

تأملوا زنابق الحقل ٠٠ و طيور السماء (مت ٦ : ٢٨ ، ٢٦) ٠

و لم يقصد الرب التأمل الحسى فى زنابق الحقل ، من حيث جمالها ، و تعدد أنواعها و ألوانها و عطرها و تناسقها ٠٠ و لكن الأرتفاع فوق الحس إلى الله الذى خلقها هكذا ، بحيث و لا سلمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها ٠٠ و هنا يقود التأمل إلى عناية الله العجيبة بكل مخلوقاته ، كما يقودنا أيضاً إلى الإيمان بعناية الله و ألى الاتكال عليه فى غير قلق ٠

و لو تأملنا الفارق الكبير بين الزهور الطبيعية و غيرها من الزهور الصناعية ، التى مهما إفتن الإنسان فى صنعها ، نبقى بلا حياة ، بلا رائحة ، بلا نمو ٠ بل لا يمكن أن تصل فى الوانها إلى تلك الطبيعة ، مما يدل على قدرة الله العجيبة ٠ و نفس الوضع بالنسبة إلى طيور السماء فى تعدد أنواعها و أشكالها و نغمات أصواتها ، و طباعها و رحلاتها ، و قناعتها ٠٠ و تضع إلى جوارها قول المزمور " نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين ٠ الفخ انكسر و نحن نجونا (مز ١٢٤)

* * *

حقاً ما أحن الله : المعطى البهائم طعامها ، و فراخ الغربان التى تدعوه (مز ١٤٧ : ٩) ٠

بل يقول الرب " تأملوا الغربان : إنها لا تزرع و لا تحصد ، و الله يقيتها " (لو ١٢ : ٢٤) ٠ نعم ، الغربان السوداء اللون ، التى يتشاءم البعض منها ٠٠ يهتم بها الله هذا الاهتمام ، بل بعهد إليها بمهمات : غربان كانت تعول إيليا النبى فى زمن المجاعة يرسلها إلى قديسيه ، فتطيع و تعرف و تنفذ مشيئة الله من جهته ٠٠ و هنا تخطو خطوات فى تفكيرك ، أعمق من الفكر السطحى أثناء القراءة ٠٠

إن علاقة الله بالحيوانات و الطيور موضوع طويل ليس الآن مجال الحديث فيه ٠ و التأمل فيه موضوع أطول ٠٠ على أنه حتى الحشرات الضئيلة ، و هنا الله مجالاً للتأمل فيها ، فقال الكتاب :

"اذهب إلى النملة أيها الكسلان ٠ تأمل طرقها ، و كن حكيماً " (أم ٦ : ٦) ٠

حقاً ، أننى لم أر فى حياتى كلها نملة واحدة واقفة بلا عمل ٠٠ إنها دائمة الحركة ، دائمة العمل ، لا تهدأ ٠ كما أن جماعات النمل درس عجيب فى التعاون ، لمن يتأمل عملها الجماعى ، فى حمل أشياء توازى عشرات حجمها ٠ و هى درس أيضاً فى النظام ، إذ تسير فى طابور طويل ، متجهة نحو هدف ثابت ٠ و باتصالات عجيبة بين بعضها البعض

* * *

و ما نأخذ من دروس فى التأمل النمل ، نأخذ مثله أيضاً فى تأمل النحل ٠

هذا النحل الذى أنشد فيه أحمد شوقى قصيدته:

مملكة مدبرة - بامرأة مؤمرة
تحمل فى العمال و الصناع عبء السيطرة
أعجب لعمال يولون عليهم قيصرة

* * *

إن النظام المذهل الذى تعيشه مملكة النحل ، هو مجال لتأمل عميق ٠٠ كيف خلقها الله بهذا الامكانيات و القدرات ٠٠ و كيف تستطيع أن تجمع الرحيق و تصنعه شهداً و كيف تصنع غذاء الملكات ! و كيف تبنى خلاياها بهندسة متقنه عجيبة ٠ و كيف تطير رحلات بعيدة بحثاً عن الزهور و الرحيق ! ما أعجبها ! و ما اعجب خالقها !!

* * *

إن الإنسان الروحى يستطيع أن يتخذ كل شئ مجالاً للتأمل ٠ و يستطيع أن يستخرج من الماديات ما تحمله من دروس روحية ٠

أتذكر أننى فى إحدى المرات ، نشرت لكم فى كتاب (كلمة منفعة) تأملاً عن الدروس الروحية التى يمكن أن نأخذها من (نهر النيل) ٠ و من نقطة الماء الهينة اللينة التى إن سقطت بمداومة على

صخر ، تحفر فيه طريقاً ٠٠ و أيضاً عن شاطئى النهر اللذين لا يجدان حريته ، إنما يحفظانه من الانسكاب ٠ و هكذا وصايا الله و إرشاد الآباء ، لا يحدان حرية الإنسان ، إنما يحفظانه من الخطأ ٠

* * *

كذلك جسم الإنسان - و هو مادة - إلا مجال واسع جداً للتأمل ، يدل على عظمة الخالق ٠

يكفى أن تتأمل قدرات كل عضو فيه ، وعلم وظائف الأعضان ٠ المخ مثلاً و ما فيه من مراكز عجيبة |، للنظر و السمع و الحركة و الكلام ٠٠ بحيث إذا لم يصل الدم إلى أى مراكز ، يبطل عمله ، و يصير صاحبه معوقاً ٠٠

كذلك القلب - و هو كقبضة اليد - و لكنه جهاز دقيق جداً ، تتوقف عليه حياة الإنسان ، كما على المخ أيضاً ٠ و يعوزنا الوقت إن تحدثنا عن كل أجهزة الجسم البشرى ، و كيف تعمل متناسقة فى اتزان عجيب ٠ و بعض هذه الأجهزة إذا تلف ، لا يقدر كل التقدم العلمى على ارجاعه إلى وضعه الطبيعى ٠٠

و هكذا فى كليات اللاهوت قديماً ، كما كانوا يدرسون علم الفلك ، كانوا يدرسون علم الطب أيضاً ، لأنه يعمق الإيمان بقدرة الله الخالق إن كانت قدرات الجسد هكذا ، حسبما خلقه الكلى القدرة ، فماذا تكون تأملات فى قدرات الروح ؟ على أننى أود أن أترك هذه النقطة الآن ، لا تحدث فى موضوع آخر و هو :

التأمل فى الأحداث

أعنى ما تمر بنا من أحداث يومية ، و ما تدل عليه من حكمة الله و تدبيره ، و تدخله و عنايته ٠٠ سواء فى عالمنا الحاضر ، أو يد الله فى التاريخ ٠٠ إنه أمر يدعو إلى عميق من التأمل ٠ و ليس من صالحنا روحياً أن نمر مروراً عابراً على أحداث التاريخ ، دون وقفات من التأمل ٠

يد الله فيما حدث لآريوس و ديوقلديانوس و نيرون٠ يد الله التى كانت مع القديس أثناسيوس الذى وقف العالم كله ضده ٠ يد الله مع يوستينا و كبريانوس الساحر٠٠ يد الله التى كانت من الآباء السواح فى وحدتهم ، والتى أرشدت بعض القديسين إلى معرفة أماكنهم ، و كتابة سيرة كل منهم قبل انتقاله ٠٠

* * *

يد الله فى التاريخ الكنسى ، و فى التاريخ المدنى ، و فى التقائهما ، و فى تدبير كل شئ للخير ٠٠ هل التاريخ هو مجرد علم و أحداث ، أم فيه أيضاً عبر و لاهوت ؟ أعنى العمل الإلهى فيه ٠ و هذا يحتاج إلى تأمل ٠

أليست يد الله مع قسطنطين الملك تدعو إلى التأمل ، و كيف قادته إلى إصدار مرسوم ميلان سنة ٣١٣م الذى كفل به الحرية الدينية ، و صار نقطة تحول خطيرة فى تاريخ المسيحية و فى تاريخ الأضطهاد الدينى ٠

* * *

هل نستطيع أن ننكر يد الله فى الأحداث التى غيرت مصير روسيا و الأتحاد السوفيتى ، وأثر ذلك فى القضاء على إلحاد استمر أكثر من سبعين عاماً ، و انتهى بسرعة عجيبة غير متوقعة ، مما يدل على تدخل يد الله فيه ٠٠! و هل يمكن أن يمر هذا الحدث علينا ، بدون و قفة تأمل تقوى الإيمان بالله ، و بتدخله ٠٠ هو صانع العجائب وحده

إن فصل التاريخ عن الله ، هو عمل غير روحى ، أم الروحيون فيتأملون يد الله فى التاريخ ٠ ننتقل إلى موضوع آخر فى التأمل و هو :

التأمل فى الصلاة

سواء فى الصلوات الخاصة ، أو صلاة القداس الإلهى ، أو صلاة المزامير ، أو فى الترانيم و التسبحة و كلما كان للمصلى تأمل سابق فى المزامير و قطع و قطع الصلاة ، على هذا القدر تكون صلاته أعمق و بفهم ..

و أتذكر أننى أصرت لكم كتاباً عن التأمل فى المزمور الثالث (من صلاة باكر) " يارب لماذا ؟!" .. و كتاب آخر عن المزمور ١٩ (أول مزامير الساعة الثالثة) " يستجيب لك الرب فى يوم شدتك " .. و كتاباً آخر عن تأملات فى بعض مزامير الغروب .. كما أصدرت لكم كتاباً عن التأملات فى صلاة الشكر و المزمور الخمسين . و أرجو أن نتخذ باقى المزامير مجالاً لتأملاتنا ، و تصدر لكم فيها كتب أخرى ..

* * *

* * *

ما كان الآباء يتلون عبارات الصلوات بطريقة سطحية سريعة ، بل كما قال ماراسحق عن صلواتهم **" من حلاوة الكلمة فى أفواههم ، ما كانوا يستطيعون بسهولة أن يتركوها إلى كلمة** أخرى " . كانوا يصلون بفهم ، يغوصون إلى أعماق المعانى فى تأمل ، يعطى صلواتهم روحاً و حرارة و عمقاً . و فى هذا تختلط مشاعرهم بعبارات الصلاة ، فتصدر الكلمات من قلوبهم . و لا يهتمون بطول الصلوات أو بكثرتها ، و إنما بما فيها من تأمل و عمق . و هكذا قال ماراسحق لمن يريد أن يسرع **فى صلواته ليتلو أكبر عدد من المزامير : إذا حوربت بهذا ، فقل : أنا ما وقفت أمام الله لكى أعد ألفاظاً ..**

* * *

نفس الكلام نقوله أيضاً عن الترتيل و التسبحة .. و بخاصة التراتيل التى لها روح الصلاة .. مثل ترتيلة " مراحمك يا إلهى كثيرة جداً " .. و مثل تسبحة " يا ربى يسوع المسيح ، مخلصى الصالح " .. حقاً إن الذين يسرعون فى صلواتهم و تسابيحهم ، إنما يفقدون عمقها و تأملاتها . و تتحول من كونها صلاة ، لتصبح مجرد تلاوة ...

إن لم تكن لك موهبة التأمل فى الصلاة ، أنصحك أن تقرأ تأملات الآباء فى الصلوات والمزامير . و ما أكثرها .. ننتقل إلى نقطة أخرى فى التأمل و هى :

التأمل فى الموت والدينونة

و هذا ما تعلمنا الكنيسة إياه فى صلاة النوم ، إذ يقول المصلى " هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً من أجل كثرى خطاياى " " لو كان العمر دائماً ، و هذا العالم مؤبداً ، لكان لك يا نفسى حجة واضحة . لكن إذا انكشفت أعمال الرديئة و شرورك القبيحة أمام الديان العادل ، فأى جواب تجيبين ، و أنت على سرير الخطايا منطرحة ، و فى إخضاع الجسد متهاونة ؟! " ..

و فى صلاة نصف الليل ، توجهنا الكنيسة إلى التأمل فى نهاية العالم ن و مجئ المسيح الثانى ، و مصير كل من العذارى الحكيمات و الجاهلات .. و إلى وجوب السهر الروحى ..

التأمل فى صفات الله

إن صفات الله - تبارك اسمه - موضوع عميق للتأمل ، يقدمها لنا القداس الغريغورى ، و الطلبة الأخيرة فى ختام كل صلاة " ارحمنا يا الله ثم ارحمنا " حيث نتأمل " إلهنا الصالح ، الطويل الروح ، الكثير الرحمة ، الجزيل التحنن ، الذى يحب الصديقين و يرحم الخطاة " .. كذلك نجد هذا التأمل فى

تسبحة الثلاثة تقديسات ، حيث نقول " قدوس قدوس قدوس ٠ السماء و الأرض مملوءتان من مجدك الأقدس " (أش ٦) ٠
و تأملاتنا فى صفات الله تشمل نوعين : صفاته من جهة علاقتنا بنا ، و صفاته الخاصة به وحده كإله ٠٠ مثل الأزلى ، الذى لا يحد الخالق ، الخالق القادر على كل شئ ، الموجود فى كل مكان ٠٠ و كلها مجال عميق للتأمل ٠٠

موضوعات أخرى للتأمل

***يمكن التأمل فى إحدى الفضائل :**
كأن تتأمل مثلاً فى الحكمة و الإفراز ، أو فى فضيلة الرحمة أو المحبة أو الاحتمال ٠ أو فى الصلاة و الصلة بالله ٠ تتأمل عمق الفضيلة و أسبابها داخل النفس ، و نوعية التعبير عنها ٠٠ و ما يتعلق بذلك كله من آيات الكتاب المقدس و قصصه ٠

***يمكن أن تتأمل فى أسرار الكنيسة :**
مثل سر المعمودية ، و ما يحدث فيه من نعم خفية شرحتها آيات الكتاب المقدس ٠٠ أو سر المسحة المقدسة و عمل الروح فيه و فينا ٠٠ و هكذا مع باقى الأسرار ٠ و ما يكمن فى وضع اليد من عمل إلهى ٠

***يمكن التأمل فى إرادة الله و حسن تدبيره :**
أو فى عجائب الله (أى ٣٧ : ١٤) ويده القوية ٠ و فى طرق الرب و أسلوب تعامله مع الخطاة و مع القديسين ٠ و كما يقول داود النبى للرب " بصنائع يديك اتأمل " (مز ١٤٣ : ٥)

إنه موضوع جميل و نافع جداً ٠ و تأمل سير القديسين غذاء شهى للنفس ، لست أريد أن أمر عليه فى عجالة ، بل أحب أخصص له موضوعاً قائماً بذاته ، إن شاء الرب و عشنا ٠

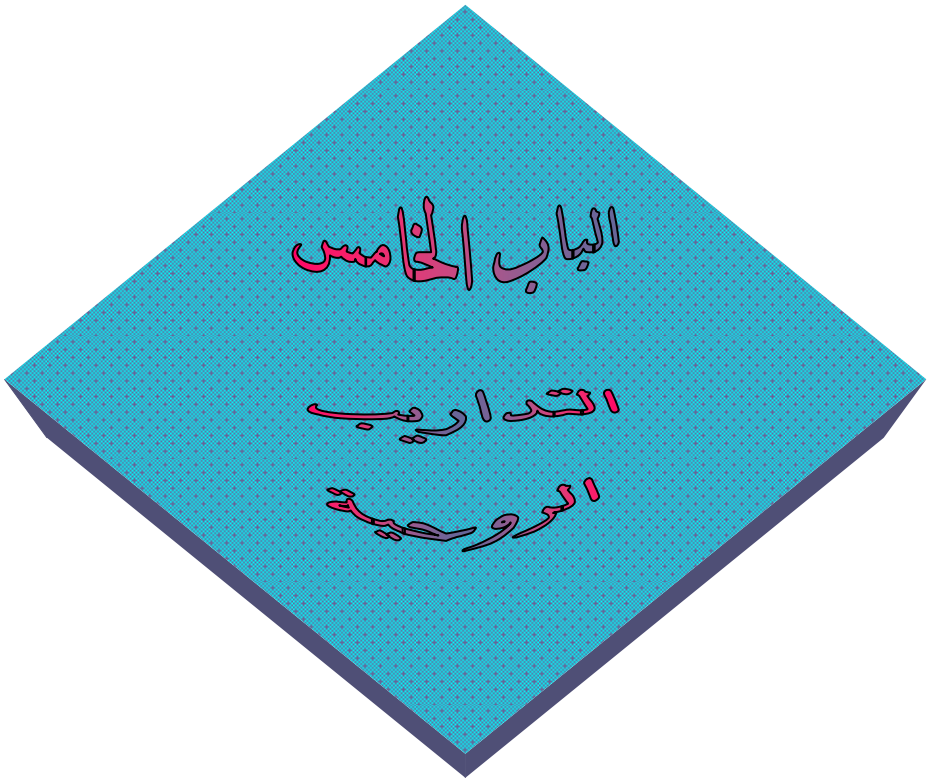
الباب الخامس
التداريب
الروحية

فوائد التداريب الروحية

ليس الدين معلومات ، و لا مجرد امتلاء من المعرفة الدينية ٠ فالمعرفة وحدها لا تكفى ٠ ماذا يستفيد الإنسان إن كان يعرف كل المعلومات عن الفضيلة دون أن يسلك فيها ؟!

إننا نقرأ الكثير ، و نستمع إلى الكثير ٠ و المهم ماذا نفعل ؟

فى كل قداس ، نستمع إلى فصل من الإنجيل ، و قراءات من رسائل بولس الرسول ، و من الرسائل الجامعة ، و من سفر أعمال الرسل ٠ و نستمع أيضاً إلى سير القديسين فى السنكسار ، و نستمع إلى عظة ٠ و إن حضرنا رفع بخور باكر ، و رفع بخور عشية،نستمع إلى عظة ٠ و إن حضرنا رفع بخور باكر ، ورفع بخور عشية ، نستمع إلى فصول أخرى من الكتاب ، بالإضافة إلى ما نقرؤه فى بيوتنا و فى الاجتماعات الروحية ٠٠ ولكن ما تأثير كل ذلك على حياتنا العملية ؟ هل اكتفينا الاجتماعات الروحية ٠٠ و لكن ما تأثير كل ذلك على حياتنا العملية ؟ هل اكتفينا بالمعرفة ؟ أم اهتممنا بأن نحول تلك المعرفة إلى حياة ، حسب قول السيد المسيح له المجد " الكلام الذى أقوله لكم هو روح و حياة " " (يو٦ : ٦٣)٠ كيف يكون ذلك التحويل :

* * *

بالتداريب الروحية ، تتحول المعرفة إلى ممارسة ٠ و تتحول المعلومات إلى عمل ٠

كذلك نلاحظ أن كثيرين يترددون على الكنيسة ، و يعترفون و يتناولون ، و ربما يخدمون أيضاً ٠ و لكنهم مع ذلك لهم ضعفات ثابتة ، تكاد تصل إلى مستوى الطباع ، مستمرة معهم على مدى سنوات طويلة !! فلماذا ؟ ٠٠٠ لعل السبب فى ذلك أنهم لم يضعوا تلك الضعفات موضع الاهتمام الخاص ، بأن يدربوا أنفسهم على تركها ، و يلاحظوا مدى تنفيذ التدريب ٠٠

و بنفس الأسلوب نقول إن هناك كثيرين لهم خطايا يكررونها فى كل اعتراف ٠اكتشفوها ، و عرفوها ، و اعترفوا بها ٠و مع ذلك استمروا فيها٠ ذلك لأنهم لم يدربوا أنفسهم عملياً على تركها٠

* * *

و من هنا كانت أهمية التدرايب الروحية : تدخل بها الإنسان فى مواجهة عملية مع نفسه : إما لترك خطاياه ، أو لاكتساب فضائل ، أو للنمو روحياً ٠٠

يحول بها المعرفة الروحية إلى حياة ٠ و كذلك أيضاً يحول بها الاشتياقات الروحية إلى حياة روحية و فى التدريب العملى : يعرف حقيقة نفسه ، و من أين يأتيه الخطأ ، أسبابه و مصادره ٠ و يدخل فى طريق المقاومة ٠ و يعرف العقبات و أسلوب الانتصار عليها ٠ و لا يقف عند حد المعرفة ، و لا حتى عند حد العاطفة الدينية الداخلية ٠

* * *

و فى التداريب يجاهد مع نفسه ، و مع الله ٠٠

يستمع إلى توبيخ الرسول و هو يقول " لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية " (عب ١٢ : ٤) ٠ فيقاوم نفسه و يصارع ٠ و فى ذات الوقت لا يعتمد على ذراعه البشرى ، إنما يمزج التداريب بالصلاة طالباً معونة من فوق ، حسب قول الرب لنا " بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو ١٥ : ٥) ٠ و فى ذلك كله يضع نفسه و تداريبه تحت إشراف روحى من مرشد حكيم مختبر ، لأن الكتاب يقول " و على فهمك لا تعتمد " (أم ٣ : ٥)

* * *

و الكتاب المقدس يقدم لنا أمثلة من التداريب ٠

هوذا القديس بولس الرسول يقول " تدربت أن أشبع و أن أجوع ٠ أن استفضل و أن أنقص " (فى ٤ : ١٢) ٠ و قال أيضاً " قد صارت لنا الحواس مدربة " (عب ٥ : ١٤)٠

الله درب قديسه

*قيل عن موسى النبى " و كان موسى حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣) ٠ فهل تظنون أنه ولد هكذا ؟! كلا ، بل إنه بدأ حياته فى الخدمة شديداً عنيفاً ، حينما قتل الرجل المصرى و طمره فى الرمل (خر٢ : ١٢) ٠ و لكن الله أخذه على البرية ، و دربه فى عمل الرعى على اللطف و الهدوء و الوداعة ، على مدى أربعين عاماً ، حتى وصل إلى ما وصل إليه ٠٠

*هل تظنوا أن يوحنا الحبيب بدأ حياته هكذا بما عرف عنه من حب ، حتى أنه قال " الله محبة ٠ من يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ــ و الله فيه " (١يو٤: ١٦) ٠ كلا ٠ بل كان هو وأخوة يعقوب شديدين ، تربيا فى مدرسة يوحنا المعمدان الشديد ، الذى كان يوبخ فى عنف (مت ٣ : ٧ – ١١) ٠ و قد لقبها الرب " بوانرجس " أى " أبنى الرعد " (مر ٣ : ١٧) ٠

و هما اللذان لما رفضت إحدى قرى السامريين أن تقبل الرب ، لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم ، قالا له " أتريد يا رب أن تقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً ؟ " ٠ فانتهرها الرب و قال لهما " لستما تعلمان من أى روح أنتما ٠ لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص " (لو ٩ : ٥٢-٥٦)

و لكن الرب أخذ يدرب ابن الرعد ، حتى تحول إلى شعلة من حب ٠ و بدايته لم تكن هكذا ٠

* * *

كذلك القديسون لم يصلوا إلى درجاتهم العالية دفعة واحدة ، بل تدربوا حتى وصلوا ٠

تدربوا بجهاد و تعب ، وعلى مدى زمنى ٠ فلا يجوز أن نأخذ ما كتب عن قممهم الروحية كأنه نقط بدء !! و لا نبدأ نحن بما وصلوا إليه فى نهاية جهادهم ، بل نتدرج ٠

*أرسانيوس العظيم ، فى بدء رهبنته ، كان يخطئ فى طريقة تنقية الفول التى يعرفها ذلك المصرى الأمى ، حتى أخذ درساً وقال " هذا القلم على خدك يا ارسانى " و بالتدريب و المدى الزمنى ، وصل إلى ما وصل إليه من قداسة ٠

*و موسى الأسود الذى شاده أحد الآباء فى رؤياء ، و الملائكة يطعمونه شهد العسل ، لم يصل إلى حياة المحبة و الخدمة و الوداعة و إضافة الغرباء دفعة واحدة ، بل حينما بدأ كان منظره مخيفاً ٠ و ظل القديس إيسيذورس يدربه ، حتى وصل إلى ما وصل إليه من قداسة و احتمال ٠

* * *

حتى فى مجال الخدمة ، درب الرب تلاميذه أيضاً٠٠٠

أرسلهم فى تدريب عملى ٠ ورجعوا إليه فعرضوا نتائج خدمتهم ٠ و كانوا فرحين لأن الشياطين تخضع لهم باسمه!! فصحح لهم هذا الخطأ ، قال لهم " لا تفرحوا بهذا ٠٠ بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى السموات " (لو ١٠ : ١٧-٢٠)٠

كذلك دربهم على أمر آخر ، و هو عدم الاهتمام بمن يكون الأول فيهم ٠ و قال لهم " لا يكون هكذا فيكم ٠ بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً ، فليكن لكم خادماً ٠ و من أراد أن يكون فيكم عظيماً ، فليكن عظيماً ، فليكن لكم خادماً ٠ و من أراد أن يكون فيكم أولاً ، فليكن لكم عبداً ٠ كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم ، بل ليخدم و يبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مت ٢٠ : ٢٦ ـ ٢٨) ٠

نصائح فى التدريب

لهذا كله ، ينبغى علينا ألا نكتفى بالمعرفة الدينية ، بل نهتم بالأكثر بالعمل ، مدر بين أنفسنا على تنفيذ الوصايا ٠

إن الرب بعد أن ألقى العظة على الجبل ، ختمها بقوله : " كل من يسمع أقوالى هذه و يعمل بها ، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ٠٠ و كل من يسمع أقوالى هذه و لا يعمل بها ، يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل " (مت ٧ : ٢٤ - ٢٦) ٠

و هكذا ركز الأهمية على العمل بهاما نسمع ٠ و أكد هذا بقوله أيضاً " و ليس كل من يقول لى يا رب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السموات " (مت ٧ : ٢١) ٠

و هكذا يصلى الكاهن فى أوشية الإنجيل " اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نسمع و نعمل بأناجيلك المقدسة بطلبات قديسيك" ٠ إذن فلنتدرب لكى نعمل بوصاياه و تعليم الإنجيل ٠

دلائل التداريب

التداريب الروحية تدل على أن صاحبها سهران على خلاص نفسه ٠ يكتشف أخطاءه و نقائصه ، و يتدرب على تفاديها ٠

لابد إذن أن تكتشف أخطاءك ، أو الأخطاء التى يكشفها لك غيرك ٠ لأنه بدون اكتشاف أخطائك ، لا يمكنك أن تدري نفسك على تركها ، إذ " لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى " (مت ٩ : ١٢) ٠ فلا تتضايق إذن ممن يظهر لك عيباً فيك استفد من هذا الكشف لكى تتدرب على التخلص من ذلك العيب ٠٠ بل أنت نفسك حاول أن تفحص نفسك جيداً فى ضوء وصايا الله لتكشف عيوبك ٠

* * *

و أحذر من تبرير النفس و التماس الأعذار لأخطائك ٠

فالذى يبرر نفسه ، يبقى دائماً حيث هو ، لا يصلح من ذاته شيئاً ، لأن ذاته جميلة فى عينيه بلا عيب !! أم الذى يحاسب نفسه بدقة ، و لا يعذر نفسه مطلقاً مهما كانت الظروف ، فهذا هو الشخص الذى يمكنه أن يتخلص من عيوبه ، معترفاً أمام ذاته بنقائصه ٠

* * *

إن كنت تستحى من أن يكشف لك الغير خطأ فيك ، فلاشك أنك لا تستحى من نفسك بنفس القدر!!

فاجلس إلى ذاتك ، وكن صريحاً من نفسك إلى أبعد الحدود و حاول أن تطرق نقط الضعف التى فيك ، و التى تكشفها لك القراءة الروحية ، أو تدركها من سماعك لبعض العظات التى تشعر أنها تمس حياتك ٠

* * *

ولو أنك دربت نفسك كل أسبوع ، أو حتى كل شهر على مقاومة نقطة ضعف واحدة ، لأمكنك فى عام واحد أ، تتخلص من ١٢ نقطة ضعف ٠ و ثق أن الخطايا يرتبط بعضها بالبعض الآخر ٠ بحيث أن تخلصك من خطية معينة ، قد يخلصك من خطايا أخرى عديدة ٠

* * *

كما أن تدربك على فضيلة معينة ، و بخاصة لو كانت من الفضائل الأمهات ، ستقودك إلـــى فضـــائل أخرى ما كنت قد وضعتها فى تدريبك ٠ فالفضائل أيضاً مرتبطة ببعضها البعض ، كحلقات فى سلسلة واحدة ٠

وسأعطيك مثالاً هنا لارتباط الفضائل ٠

لنفرض أنك دربت نفسك يوماً على الخلوة ، ستجد نفسك محتاجاً أن تشغل نفسك أثناء الخلوة حتـــى لا تمل ٠ و هكذا ستلجأ إلى القراءة حيناً ، و إلى الصلاة حينا آخر ، أو إلى الترتيـــل ، أو الحفـــظ : حفظ مزامير أو قطع من الأجبية أو آيات من الإنجيل ٠ وربما يدعوك هذا إلى التأمل فى هذه الآيات ٠٠ و هكذا تجد أن تدريباً على الخلوة جر وراءه فضائل عديدة ٠٠ أو مثلاً دربت نفسك يوماً علـــى الصمت ، ستجد نفسك محتاجاً بالضرورة إلى أن تشغل ذهنك بشئ نافع ، حتى لا تسرح فيما لا يليق ٠ و هكذا سيقودك الصمت إلى الصلاة أو التأمل ، أو تشغل نفسك بالقراءة ٠٠ تدريب واحـــد يجـــر وراءه تداريب عديدة

ملاحظات

ثق أنك إن بدأت ، لابد ستبدأ النعمة معك :

الله لا يتركك وحدك فى تداريبك ، بل سيعمل معك ٠ لأنك بالتدريب أظهرت أمك جاد و ملتزم بالسلوك فى الحياة مع الله ٠ و هذا الشعور ستتجاوب معه المعونة الإلهية ٠ و إن كان الشيطان يحـــاول أن يحاربك لتكسر التدريب ، فإن النعمة سوف تسندك لتنجح فيه ٠ المهم أنك لا تتراجع و لا تتراخـــى ولا تكسل ٠ بل تكون حازماً مع نفسك ٠٠

* * *

و إن دربت نفسك على فضيلة ، فاعلم أن الثبات فى الفضائل أهم بكثير من اقتنائها ٠

لأنه ما أسهل تسير فى فضيلة ما يوماً أو يومين أو ثلاثة أو أسبوعاً ٠٠ و لكن المهم أن تســـتمر ، حتى تصبح هذه الفضيلة عادة فيك ، أو تتحول إلى طبع ، و هكذا تحتاج التداريب إلى مدى زمنـــى طويل لكى ترسخ فى أعماق النفس ٠ و كما قال ماراسحق إن كل تدبير لا تثبيت فيه زمناً ، يكـــون بلا ثمر ٠٠

ذلك لأن الزمن و الاستمرارية هما المحك العملى لمعرفة عمق الفضيلة فيك ٠ و الوقت أيضاً يعطى فرصة لاختيار المعوقات التى تقف ضد التدريب و طريقة النصرة عليها

* * *

لهذا ، فإن القفز السريع من تدريب إلى آخر ، لا يفيد روحياً ٠

كثيرون يريدون أن يصلوا إلى كل شئ ، فى أقل فترة من الوقت ٠ فتكون النتيجة عدم الوصول إلى شئ ٠٠ !! أو أنهم يضعون أمامهم تداريب عديدة فى نفس الوقت بحيـــث ينســـون بعضـــها ، أو لا يستطيعون التركيز عليها جميعاً ٠ أما أنت فاسلك فى تداريبك بحكمة ، شيئاً فشيئاً ، لكى تصل ٠ و هنا أضع أمامك بعض الملاحظات ٠

* * *

***ليكن التدريب محدداً وواضحاً ٠**

فلا تقل أدرب نفسى على المحبة بينما القديس بولس الرسول يضع لهذه المحبة حوالى ١٤ عنصراً فى (١كو١٣) ٠ يمكنك الاكتفاء بعنصر واحد تركز عليه ٠ و لا تقل إنى أريد أن درب نفسى على حياة التواضع ، أو الوداعة ، أو الإيمان ٠ بينما تكون كل كلمة من هذه غير واضحة فى تفاصـــيلها أمامك ٠ و هكذا لا تفعل شيئاً ٠٠ إنما قل مثلاً أريد فى حياة الاتضاع أن أدرب نفسى على أمر واحد

فقط ، هو أنى لا أمدح ذاتى ٠ فإن أتقنت هذا ، تقول : ادرب نفسى على أنى أسعى وراء مديح الناس فإن أتقنت هذا ، تقول أتدرب على شئ آخر ، و هو إن مدحنى أحد ، أتذكر فى الحال خطاياى و تقصيرى ، و أبكت ذاتى من الداخل ٠

* * *

البعض يضع لنفسه تدريباً فوق مستوى إرادته ، أو لا تساعد عليه ظروفه ٠ أو يقفز فى التدريب إلى مستوى درجة عالية لا يستطيع الاستمرار فيها ، و قد تصيبه بنكسة فيما بعد ترجعه إلى الوراء خطوات ٠ فمثلاً ، لا تضع لنفسك تدريباً فى الصوم فوق احتمال صحتك ، و لا تدريباً فى الصمت لا يتفق مع ظروف عملك و مقابلاتك ، و ظروف بيتك ، لا تدريباً فى الصلاة أو فى الخدمة لا يسمح به وقتك ٠٠

***و يمكن أن تتدرج فى التدريب ، بحيث لا تأخذ فى كل مرة إلا جزءاً واحداً من تفاصيله٠**

من الصعب مثلاً أن تدرب نفسك على الصمت ، فى حياة المجتمع الذى تضطر فيه بالضرورة إلى الكلام ٠ و لكنك قد تتدرج فتقول : أدرب نفسى على عدم الإطالة فى الحديث ٠ فما يحتاج إلى كلمة ، لا أقول فيه جملة٠ و ما يحتاج إلى جملة ، لا ألقى فيه محاضرة ٠ و إن فهم محدثى ما أريد ، لا داعى لأن أزيد٠٠

فإن أتقنت هذا ، تقول : لا أبدأ الكلام إلا لضرورة ٠ ثم تدخل فى تدريب آخر، و هو البعد عن الصوت الحاد ، و عن الصوت العالى ، و تقول أدرب نفسى على " الصوت المنخفض الخفيف " (١مل ١٩ : ١٢) ٠ ثم تدخل فى مقاومة أخطاء اللسان واحدة فواحدة ٠ إلى أن تصل إلى حسن الكلام ٠ و حينئذ إن بعدت عن الصمت ، تصل إلى النقطة التالية و هو حسن الكلام ، فلا تخطئ ٠ لأن هناك من ينطبق عليه المثل القائل : سكت دهراً و نطق كفراً !!

***و لتكن تداريبك من صميم حياتك العملية الواقعية ٠**

فما يصلح لغيرك من تداريب ، قد لا يصلح لك أنت ٠ أما تداريبك فليكن مصدرها مقاومة أخطائك الخاصة ، و تقصيراتك الروحية ، و ما يناسبك فى حياة الفضيلة بحسب قامتك الروحية ٠ و تداريبك يجب أن تتفق مع حياتك و ظروفك الداخلية و الخارجية ٠

كراسة التدريبات

***ولتكن لك كراسة خاصة بالتدريبات ٠**

تكتب فيها التدريب ، و آية أو ضع آيات من الكتاب تشجعك ، و تحثك على هذا التدريب بالذات ٠ و احفظ هذه الآيات ورددها باستمرار ، لكى تكون حاضرة فى ذهنك كلما حوربت بشئ ضد ما تدرب نفسك عليه ٠ و تذكر أيضا قصص القديسين الذين كانوا أمثلة عليا فى الفضيلة التى تدرب نفسك عليها ٠

* * *

***و إن سقطت فى تدريبك فى وقت ما ، اعرف أسباب السقوط ، و حاول أن تتحاشاها فيما بعد ٠**

و هكذا تأخذ خبرة روحية فى كل ممارساتك ، و تعرف حروب العدو و طريقة الانتصار عليها ٠ حتى أن البعض – بهذه التدريبات – صاروا مرشدين لغيرهم ٠ كالأم التى جربت الحياة ، و تستطيع أن تنصح ابنتها بنصائح عملية تفيدها ٠

***وحاول أن تستفيد من فشلك احياناً فى تداريبك٠**

ليكن ذلك سبباً فى اتضاعك و شعورك بالضعف ، حتى لا تتكبر نفسك بتوالى النجاح ٠
وأيضاً ليكن ذلك سبباً يدعو إلى الاشفاق على الضعاف و المخطئين ٠ و لتكن سقطاتك موضوعاً لمطانيات أمام الله تقدم فيها انسحاق قلبك و لتكن مجالاً لصلوات ترفعها إلى الله ليمنحك قوة و نعمة

جهاد

و بعد ، فإن التداريب فى صورتها الظاهرة ، هى جهاد للوصول إلى نقاوة القلب ، حتى يستحق سكنى الله فيه ٠ و لكنها ليست مجرد جهاد ، و إنما هى طلبة مقدمة إلى الله ليتدخل ٠ و كيف ؟

كثيرون يقدمون لله رغباتهم الروحية فى أسلوب نظرى ، فى مجرد مشاعر القلب أو كلام فى الصلاة ٠ أما التداريب الروحية فهى رغبات تقدم إلى الله بأسلوب عملى ٠٠

هى جهاد عملى صارخ إلى الله لكى يتدخل و يمنح من عنده النصرة لهذا الجهاد ٠٠ و الله هو العامل فينا أن نريد و أن نعمل من أجل المسرة (فى ٢ : ١٣) ٠٠ المسرة فى أن يتمجد اسمه فينا كلما ننجح فى جهادنا و تداريبنا ٠ و ليكن اسم الرب مباركاً من الآن و إلى الأبد ٠

الباب السادس
محاسبة
النفس

أهمية محاسبة النفس

يحتاج الإنسان كثيراً إلى جلسة مع النفس :

يجلس إلى نفسه لكى يفحصها و يفتش دواخلها ، و يرقب تصرفاتها و يحاسبها حتى يكون فى يقظة مستمرة ٠ و هذه الرقابة الذاتية و ملاحظة النفس لازمة لكل إنسان ، مهما علا فى حياته الروحية ، و مهما ارتفع فى منصبه ٠ و لذلك نرى القديس بولس الرسول يكتب إلى تلميذه تيموثاوس الأسقف قائلاً " لاحظ نفسك و التعليم ، و ودوام على ذلك ٠ فإنك إن فعلت هذا ، تخلص نفسك و الذين يسمعونك أيضاً " (اتى ٤ : ١٦) ٠

* * *

لذلك فالشيطان يحاول بكل قوة أن يمنع الإنسان الروحى من الجلوس إلى نفسه ، و كذلك يمنع الخاطئ ٠٠

ما أسهل أن يقدم له مشغوليات عديدة جداً ، تستغرق كل وقته ، و تستحوذ على كل مشاعره بأهمية كل هذه المشغوليات ٠ و إن كان إنساناً روحياً محباً لملكوت الله ، يمكن أن يشغله بالخدمة و متطلباتها ، حتى يجعل الخدمة تشغله ، بحيث لا يهدأ ليفكر فى أخطائه داخل خدمته ٠ مثل ذلك الابن الكبير الذى لم يفرح برجوع أخيه ، و لم تتفق مشيئته مع مشيئة الآب ٠ و مع ذلك قال لأبيه " ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك ٠ وجدياً لم تعطنى قط لأفرح مع أصدقائى ٠٠! " (لو ١٥ : ٢٨ ، ٢٩) ٠ و لا شك أن هذا الابن الخادم طول تلك السنين ، لو كان قد جلس إلى نفسه ، لوجد أن له أخطاء عديدة و غير لائقة ، سواء فى التعامل أو أسلوب التخاطب ، أو فى محبته أو احترامه لأبيه ٠٠

* * *

لذلك ايها الابن المبارك لا تجعل مشغوليات الخدمة تعطلك عن الجلوس إلى نفسك و فحصها و مناسبتها٠

أليس أن الخدمة أحياناً قد تعطلك عن الصلاة و عن القراءة و التأمل ؟! ألست أحياناً فى الخدمة ترفع ذاتك و فكرك أكثر مما يليق ، وربما ترتئى فوق ما ينبغى (رو١٢: ٣) ٠ ألست فى الخدمة أحياناً قد تقع فى الإدانة ، وربما فى قساوة القلب ، باسم الدفاع عن الحق ؟!٠٠ و غير ذلك كثير ٠٠ إجلس إلى نفسك و افحصها ، خوفاً من أن تقول " لئلا بعدما ما كرزت لآخرين ، أصير أنا نفسى مرفوضاً " (١كو ٩ : ٢٧) ٠ أو لئلا تسمع قول الرب لمرثا " أنت تهتمين و تضطربين لأجل أمور كثيرة ٠ و لكن الحاجة إلى واحد " (لو ١٠ : ٤١ ، ٤٢) ٠

* * *

أنت محتاج أن تجلس إلى نفسك لتعرف أخطاءك ٠٠

سواء أخطاء اللسان ، أو الفكر ، أو الحواس ، أو المشاعر القلب ، أو أخطاء الجسد ٠٠ لتعرف أخطاءك ضد الله و ضد الناس ، و أيضاً ضد نفسك ٠٠ بل لتدرس طباعك أيضاً الثابتة فيك ن والتى تلبس ثياب الحملان ، و تتسمى عندك بأسماء فضائل ، و قد تفتخر به !! إجلس يا أخى إلى نفسك ، و تذكر قول القديس مقاريوس الكبير :

أحكم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك ٠٠

كيف تحاسب نفسك ؟

لتكن محاسبتك لنفسك بصراحة وجدية ٠

قد يحاول الشيطان أن يتدخل بإحدى طريقتين :

إما أن يقول لك : لا تبالغ فى حكمك على نفسك ، لئلا تقع فى عقدة الذنب Sense of guilt ٠

أو قد يقول لك : احترس من أن تقسو على نفسك ، لئلا تقع فى الكآبة Depression ٠ و هو ليس مخلصاً فى نصائحه ، لأنه يريد أن يبعدك عن تبكيتك لنفسك ٠ هنا و تذكر قول القديس أنطونيوس الكبير " إن ذكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله ٠ و إن نسينا خطايانا ، يذكرها لنا الله " ٠ و تذكر أيضاً قول داود النبى فى مزمور التوبة " خطيتى أمامى فى كل حين " (مز ٥٠) ٠

* * *

ذلك لأن الشيطان قد يقول لك : لماذا تتذكر خطاياك ، و هى مغسولة بالدم الكريم ؟!

إنها تظل مغسولة ، طالما كنا فى حياة التوبة ، نادمين على ما فعلناه ، و فى انسحاق قلب بسبب خطايانا ٠ إن داود النبى ظل يبلل فراشه بدموعه بسبب خطيته ، حتى بعد أن نال المغفرة ٠ و قال له ناثان " الرب نقل عنك خطيئتك ٠ لا تموت " (٢صم ١٢ : ١٣) ٠ و شاول الطرسوسى بعد أن نال الدعوة الإلهية ، و صار رسولاً، و تعب أكثر من جميع الرسل " ١كو١٥ : ١٠) ٠ قال فى انسحاق قلب " لأنى أصغر الرسل ٠ أنا الذى لست أهلاً لأن أدعى رسولاً ، لأنى اضطهدت كنيسة الله " ! (١كو ١٥ : ٩) ٠ ألم تكن هذه الخطية قد غفرت له ، و غسلت بالدم الكريم ٠ و لكنه لا يزال يذكرها و يبكت نفسه عليها ٠ بل أنه يقول فى رسالته الأولى إلى تلميذه تيموثاوس " أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً و مضطهداً و مفترياً ٠ و لكننى رحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان " (١تى ١ : ١٣) ٠ و على الرغم من أنه فعل ذلك بجهل ، و قبل إيمانه ، إلا أنه لا يزال يذكر و يبكت نفسه ٠٠

* * *

و أيضاً فى محاسبتك لنفسك ، احترس من أن تلتمس لنفسك الأعذار و التبريرات ٠٠

قد تحاسب نفسك و تدرك أخطاءك ٠ و إلى هنا تكون النعمة قد عملت فيك ٠ ثم ياتى الشيطان ليفقدك عمل النعمة ، يبعدك فى الندم و الانسحاق و لوم النفس ، فيقدم لك الأعذار و التبريرات ، لكى تغطى بها على خطيتك ، كما حاول من قبل أبونا آدم و أمنا حواء ٠٠ احترس من هذه الأعذار التى هى لون زائف من الاشفاق على النفس ، بالدفاع عنها و محاولة تخفيف الذنب فيما إرتكبته ٠ فإن كنت تحب نفسك حقاً ، لا تشفق عليها بهذا الآشفاق الخاطئ الذى يحرمها من مشاعر التوبة و الندم و الانسحاق ٠ و هذا لا يفيدها بشئ ٠ بل على العكس قد تعتمد على الأعذار و تستمر فى الخطأ ٠ اذكر باستمرار قول الرسول " أنت بلا عذر أيضاً الإنسان " (رو ٢ : ١) ٠ الذى يحاول أن يعذر نفسه فى خطاياه ، قد يقع فى الضمير الواسع ، الذى يبلع الجمل (مت ٢٣) ٠

* * *

هوذا نوح البار كان يعيش فى جيل فاسد جداً حتى أن الله أغرقه بالطوفان ٠ و مع ذلك حفظ نوح نفسه فى الإيمان ، و لم يتأثر بالوسط المحيط ٠ و يوسف الصديق كانت الخطية تلح عليه كل يوم ، دون أن يطلبها ٠ و على الرغم من ذلك قال عبارته الخالدة" كيف اصنع هذا الشر العظيم و أخطئ إلى الله ؟! " (تك ٣٩ : ٩) ٠ و فى سبيل رفضه للخطية تحمل ما آحتمله من سجن و عار ٠٠ و دانيال و الثلاثة فتية كانوا مهددين بموت خطير ، هو بالإلقاء إلى جب الأسود و هم بالإلقاء فى أتوب النار ٠ و لكن ذلك التهديد لم يحولهم مطلقاً عن مخافة الله ٠ و هكذا كان كل الشهداء و المعترفين ، فى كل ما تعرضوا من تعذيب ٠

* * *

إن الضغط الخارجى ، لا يستسلم له سوى الضعف الداخلى ٠

بكت نفسك بهذه العبارة ٠ و قل لنفسك : ينبغى أن أكون قوياً فى الداخل ، و أنتصر على كل الحروب مهما كانت شديدة ٠ و ليبكتك قول بولس الرسول للعبرانيين " لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية " (عب ١٢ : ٤) ٠ لذلك إن حاسبت نفسك ، و لا تقل كانت الوصية صعبة ، لم استطع تنفيذها !! بل تذكر كيف أن ابراهيم أخذ ابنه الوحيد الذى يحبه ليقدمه محرقة (تك ٢٢)

* * *

و إن عذرت نفسك بأن هناك معطلات خارجية عاقتك عن طريق الفضيلة فقل لنفسك : كان ينبغى أن أجاهد لأنتصر ، على تلك المعوقات ٠

هوذا نوح البار كان يعيش فى جيل فاسد جداً حتى أن الله أغرقه بالطوفان ٠ و مع ذلك حفظ نوح نفسه فى الإيمان ، و لم يتأثر بالوسط المحيط ٠ ويوسف الصديق كانت الخطية تلح عليه كل يوم ، دون أن يطلبها ٠ و على الرغم من ذلك قال عبارته الخالدة " كيف أصنع هذا الشر العظيم و أخطئ إلى الله ؟! " (تك ٣٩ : ٩) ٠ و فى سبيل رفضة للخطية تحمل ما آحتمله من سجن و عار ٠٠
و دانيال و الثلاثة فتية كانوا مهددين بموت خطير ، هو بالإلقاء إلى جب الأسود ، وهم بالإلقاء فى أتون النار ٠ و لكن ذلك التهديد لم يحولهم مطلقاً عن مخافة الله ٠ و هكذا كان كل الشهداء و المعترفين ، فى كل ما تعرضوا له من تعذيب ٠

* * *

إن الضغط الخارجى ، لا يستسلم له سوى الضعف الداخلى ٠

بكت نفسك بهذه العبارة ٠ و قل لنفسك : ينبغى أن أكون قوياً فى الداخل ، و أنتصر على كل الحروب مهما كانت شديدة ٠ و ليبكتك قول بولس الرسول للعبرانيين لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية " (عب ١٢ : ٤) ٠ لذلك إن حاسبت نفسك ، فلا تقل ، فلا تقل فى سقطاتك " لقد كنت ضعيفاً و الخطية أقوى منى ٠ بل أذكر انتصار يوسف الصديق ، و بكت به نفسك ٠ و لا تقل كانت الوصية صعبة ، لم استطع تنفيذها !! بل تذكر كيف أن ابراهيم أخذ ابنه الوحيد الذى يحبه ليقدمه محرقة (تك ٢٢) ٠

* * *

اذكر قصصاً من الكتاب فى الانتصار على العوائق :

أذكر أصدقاء المفلوج الذين لم يجدوا أى منفذ لإدخال صاحبهم إلى الرب ، فلم ييأسوا ، و نقبوا السقف ودلوه منه (مر ٢ : ٤) ٠ و اذكر الاغراءات التى قدمت لداود لقتل شاول الملك الذى كان يطارده ، و كيف قال داود : حاشا لى أن أمد يدى إلى مسيح الرب ٠٠ لأنه مسيح الرب هو (١صم ٢٤ : ٦) ٠٠

* * *

فى محاسبتك لنفسك ، اعتبر الاعذار تدليلاً للنفس ٠

مثل عذراء النشيد ، التى لم تفتح للرب ، و قد امتلأ رأسه من الطل ، و قصصه من ندى الليل ! و قالت " قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه ٠ قد غسلت رجلى فكيف أوسخهما " ٠ و لم يقبل الرب عذرها ، ، بل تحول عنها و عبر ٠ ثم عصرها الندم فقالت بعد ذلك " طلبته فما وجدته ٠ دعوته فما أجابنى " (نش ٥ : ٢-٦) ٠٠
لا تكن مثل صاحب الوزنة الواحدة ، الذى دفن وزنته فى الأرض ، ووجد لنفسه عذراً فقال لسيده كلاماً شريراً لامه عليه ! (مت ٢٥ : ٢٤ - ٢٨) ٠٠

* * *

ما أكثر الذين أخطأوا وقدموا أعذاراً ، كانت كلها غير مقبولة ٠

مثل شاول الملك لما أصعد محرقة (١صم ١٣ : ١١، ١٢) ٠ و مثل يونان النبى لما إغتاظ بالصواب حتى الموت (يون ٤ : ١-١٣) ٠ و مثل ايليا فى خوفه من ايزابل و هربه منها (١مل ١٩ : ١ ، ١٤) ٠

و مثل هؤلاء من يكسر الصوم ٠ و أن حاسبه ضميره وبكته ، يعتذر بضعف صحته ٠ و من يكسر وصية العشور ٠ و إن حاسب نفسه ، يعتذر بظروفه الماليه ، و كذلك من لا يفى بالنذر ٠٠ إن داود لم يجد لنفسه عذراً ، لما " جاء أسد مع دب ، واختطف شاه من قطيعه " ، بل جرى وراءه ، ز انقذها من فمه (١صم ١٧ : ٣٤ ، ٣٥) ٠٠ و لو أن داود قد اعتذر عن إنقاذ الشاه ، لوجدنا عذره مقبولاً !! و لكنه لم يفعل ٠ كان ضميره أقوى ٠٠

* * *

ما أكثر الذين يخطئون ، فبدلاً من لوم أنفسهم ، يلقون اللوم على الكنيسة لكى يعذروا أنفسهم !!

يقولون : الكنيسة لم تفتقدنى ! أب الاعتراف لم يهتم بى ! لم أجد مرشداً يعرفنى الطريق ! أين الآباء ؟! أين عمل الكهنوت ؟! و لا يقول أحد منهم : الخطأ كان واضحاً ، و ضميرى كان يبكتنى ، و أنا لم أطع إرشاد ضميرى و تبكيته لى من الداخل ٠٠!!

إن أنطونيوس العظيم كان وحده فى البرية بلا مرشد ٠ و سار فى الطريق السليم ، و لم يعتذر بعدم وجود إرشاد ٠٠ و كذلك الأنبا بولا السائح و غيرهما من أعاظم القديسين ٠٠

* * *

فى محاسبتك لنفسك ، من الأفضل لك أن تديين نفسك و تبكتها ٠

فهذا أنفع لك من تبرير نفسك ، و إلقاء التبعة على غيرك ٠٠ ما أجمل جواب أب جبل نتريا ، لما سأله البابا ثاوفيلس عن أحسن الفضائل التى أتقنوها فى حياة الوحدة ، فقال : " صدقنى يا أبى ، لا يوجد أفضل من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شئ "٠٠

أما العوائق فلا تكون مجالاً للاعتذار ، و إنما مجالاً للتدريب على مقاومتها ، و الصلاة لكى يعطى الرب نعمة للإنتصار عليها

* * *

محاسبة النفس تليها إدانة النفس ٠ يليهما علاج النفس ٠

ووضع كل تلك الضعفات مجالاً للتدريبات الروحية ، و للجهاد الروحى ، و الصلاة ٠ و أيضاً لذكرها فى الاعتراف ، و طلب المشورة الصالحة ٠٠

و أيضاً لكى تكون تلك الضعفات سبباً فى أتضاع النفس ، و البعد عن أفكار المجد الباطل كلما تحارب النفس حينما تعمل خيراً ٠ و كذلك تكون تلك الضعفات سبباً فى الإشفاق على المخطئين بدلاً من إدانتهم ٠ كما قال القديس بولس الرسول " أذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم ، و اذكروا المذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد " (عب ١٣ : ٣ ٩ ٠

* * *

حاسب نفسك على السلبيات التى تصدر منك ، و أيضاً على الفضائل التى تنقصك ٠ و كذلك على توقف نموك ، إن كانت روحياتك وصلت إلى وضع معين ، ثم توقف نموها ٠ و هنا تضع أمامك قول القديس بولس الرسول " ولكنني أسعى لعلى أدرك ٠٠ أنسى ما هو وراء ، و امتد إلى ما هو قدام ٠ أسعى نحو الغرض " (فى ٣ : ١٢- ١٤) ٠ إدرس ما الذى أوقف نموك ٠ أهى أسباب داخلية ، أم عوائق خارجية ؟

متى تكون المحاسبة

بقى سؤال وهو : متى نحاسب أنفسنا ؟

البعض يحاسبون أنفسهم فى مناسبات : فى بداية سنة جديدة مثلاً : السنة الميلادية أو القبطيـــة أو فى بدء سنة من عمرهم ٠ و البعض الأفضل يحاسبون أنفسهم قبل كل اعتراف و تناول ٠ و أفضل من هذين النوعين من يحاسبون أنفسهم فى آخر كل يوم و افضل من هؤلاء جميعاً من يحاسب نفسه بعد الفعل مباشرة ، و يبكت نفسه ٠٠

أما الوضع الأمثل و الأكمل ، فهم أن تحاسب نفسك على العمل قبل فعله ٠

فقبل أن تنطق كلمة مثلاً ، تحاسب نفسك : هل يليق بى أن أقول هذه الكلمة ؟ و ماذا سيكون وقعها على الآخرين ؟ و هل سيفهمها البعض على غير ما أقصده ؟ فإن وجدت خطأ تتفاداه قبل وقوعه و هكذا فى تصرف ، و فى كل فكر ٠٠ بهذا تسير نحو الكمال ٠ و ليكن الرب معك ٠٠٠

الباب السابع
الاعتراف

الاعتراف واسطة روحية لتوبة الإنسان :

حتى أننا فى عقيدة الكنيسة نسمى سر الاعتراف " سر التوبة " ٠ و هو فعلاً يقود إلى التوبة ، إذا مارسه الإنسان بطريقة روحية تليق به ٠ فالاعتراف ليس مجرد كلام يقوله المعترف للأب الكاهن ، إنما ينبغى أن يمتزج بمشاعر معينة توصل الخاطئ إلى إلى التوبة الحقيقية فكيف ذلك ؟

عناصر الاعتراف

و ما هى عناصر الاعتراف لكى يكون شاملاً:

الاعتراف يشمل أربعة عناصر ، يجب أن تتم :

١-الاعتراف على الله نفسه :

كما يقول داود النبى للرب فى المزمور الخمسين ، مزمور التوبة " لك وحدك أخطأت ، و الشر قدامك صنعت " (مز ٥٠) ٠ و فى هذا الاعتراف تطلب من الله المغفرة ، كما نقول فى الصلاة " اغفر لنا خطايانا ، كما نغفر نحن أيضاً لمن أخطأ إلينا " ٠ و تطلب من الله أن يرفع غضبه عنك الذى تستحقه بسبب خطاياك ، كما نقول فى المزمور " يا رب لا تبكتنى بغضبك ، و لا تؤدبنى بسخطك ٠ ارحمنى يا رب فإنى ضعيف " (مز ٦) ٠

* * *

٢-وكما نعترف على الله ، نعترف على أب الاعتراف أيضاً :

تعترف عليه كوكيل للسرائر الإلهية (١كو٤ : ١) ٠ و كرسول من الله إليك "ملا٢ : ٧) ٠ و تعترف عليه لكى يمنحك من الله المغفرة و الحل (يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣) (مت ١٨ : ١٨) ٠ و أيضاً لكى يسمح لك بالتناول ، حتى يمكنك أن تتناول باستحقاق (١كو١١ : ٢٧) ٠ و ايضاً من أجل الإرشاد الروحى ، ليشرح لك ما يجب أن تفعله٠ و تعترف على الأب الكاهن أيضاً لسبب عملى ٠ و هو أن الإنسان كثيراً ما يخجل و هو يذكر خطاياه أمام شخص روحى ، و أمام الكهنوت بالذات ٠ و هذا الخجل يساعده على عدم ارتكاب الخطية فى المستقبل ٠ و هكذا الخطية فى المستقبل ٠ و هكذا قال الكتاب " إعترفوا بعضكم على بعض بالزلات " (يع ٥ : ١٦) ٠ أى بشر على بشر ٠

* * *

٣-تعترف على من أخطأت إليه بكل ما أسأت به إليه :

وذلك لكى تزيل من قبله أى غضب ، أو حزن بسبب إساءتك إليه ، حتى يمكنك أن تتناول بقلب صاف من نحو الكل ٠ و هذا ما علم به الرب فى العظة على الجبل ، إذ قال " فإن قدمت قربانك على المذبح ، و هناك تذكرت أن لأخيك " (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) ٠

و هكذا لو وجدت فى كل إساءة إلى الغير ستذهب إليه و تصالحه ، و تعتذر إليه معترفاً بخطئك من نحوه ٠٠ فبلاشك سيقودك هذا إلى الاحتراس من معاملة الغير ، و البعد أن الإساءة ، حتى لا تضطر إلى الإعتذار عنها ٠

* * *

٤-هناك اعتراف آخر ، قد يكون هو الأول فى الترتيب الزمنى ، و هو أن تعترف بينك و بين نفسك أنك قد أخطأت ٠٠

ذلك أنه إن لم تكن معترفاً فى داخل قلبك و فكرك أنك قد أخطأت ، سوف لا تعترف طبعاً أمام الله بخطأ لا ترى أنك قد وقعت فيه ٠ و أيضاً سوف لا تعترف أمام الكاهن بأنك قد أخطأت ٠ و لن تذهب إلى أخيك و تصالحه ، مادمت غير مقتنع فى داخلك بأنك قد أخطأت إليه ٠٠

إذا الإعتراف بالخطأ أو الخطية ، يبدأ داخل الإنسان أولاً ، بإحساس داخلى أنه قد أخطأ ، و باقتناع ٠فكرى بواقع الخطأ و تفاصيله ، و بضرورة الإعتراف به للحصول على المغفرة ، و للوصول إلى المصالحة مع الله و الناس ٠

* * *

كثيرون ليس لهم هذا الإحساس الداخلى بالخطأ ، لذلك لا يتقدمون نحو التوبة و لا الإعتراف ٠٠

ربما لأن موازينهم الروحية غير سليمة ، أو أنهم يبررون تصرفاتهم باستمرار ٠ الذات عندهم تقف ضد كل اعتراف بالخطأ ٠ يرون دواتهم باستمرار على حق ، فبأى شئ يعترفون ؟! بل إن كثيراً من أولئك المخطئين تلبس أخطاؤهم ثوب الفضيلة ، و يفتخرون بذلك الخطأ ٠٠ كما كان الفريسيون و الكتبة يرون أنهم على حق فى معاداة السيد المسيح ، دفاعاً عن ناموس موسى و تقاليد آبائهم !! و هكذا قالوا له فى جرأة و فى الإعتزاز بالإثم " ألسنا نقول حسناً أنك سامرى وبك شيطان " (يو٨ : ٤٨) !! إنهم يهينون المسيح هكذا و يشتمونه ، يرون أنهم يقولون حسناً !!

مشاعر المعترف

المعترف إذن لابد أن يشعر أنه أخطأ ٠ و لابد أن يندم على خطيئته و ينسحق قلبه بسببها ٠

داود النبى كان من فرط ندمه ، كان يبكى بمرارة على خطيته ، و بدموعه يبل فراشه " (مز ٦) ٠ و كان يرى أن خطيئته تحتاج إلى غسيل و تطهير ، فيقول للرب " إغسلنى كثيراً من إثمى ، و من خطيئتى طهرنى " " إنضح على بزوفاك فأطهر ٠٠ " (مز ٥٠) ٠
كثيرون يأتون إلى الاعتراف بغير ندم ، و بغير شعور بالخجل و الخزى و العار من خطاياهم ٠ و لذلك لا يستفيدون من اعترافهم ٠ و يصبح اعترافهم مجرد كلام بغير روح !! أما أنت فبقدر تدمك تكون توبتك ، و تكون استفادتك من الاعتراف ٠

* * *

و مع الندم يوجد عزم أكيد على تغيير حالتك ٠

إصرارعلى ترك الماضى الخاطئ ، و غلق كل السبل الموصلة إلى الخطية ٠ لأن الاعتراف ليس معناه التخلص من حساب قديم ، لفتح حساب جديد إنما هو قطع كل صلة بالخطية ، متعرفاً بأنها طريق خاطئ يمنع الحياة مع الله و سكنى روحه فى القلب ٠

* * *

كذلك ينبغى أن يوقن المعترف أنه قد أخطأ ضد الله نفسه ٠٠

فالخطية هى عصيان لله و كسر لوصاياه ٠ هى تمرد على الله و ثورة عليه ، و تفضيل محبة العالم و المادة و الجسد على محبة الله ٠ و كما قال القديس يعقوب الرسول : " أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله ؟! فمن أراد أن يكون محباً للعالم ، فليست فيه محبة الآب " (١يو ٢ : ١٥) ٠ إذن الخطية ضد محبة الله ٠ و فى نفس الوقت هى رفض للشركة مع روحه القدس ، لأنه " أية شركة للنور مع الظلمة ؟! " (٢كو ٦ : ١٤)٠٠ و لأن الخطية ضد الله ، إذن فهى غير محدودة لأن الله غير محدود ٠٠

* * *

لهذا نرى داود النبى يقول للرب " لك وحدك أخطأت ، و الشر قدامك صنعت " (مز ٥٠) ٠ و لم يقل أخطأت إلى أوريا و بتشبع زوجته ٠٠ كذلك لما عرضت الخطية على يوسف الصديق ، رفضها قائلاً " كيف أصنع هذا الشر العظيم ، و أخطئ إلى الله ؟! " (تك ٣٩ : ٣٩) ٠٠ ضع هذا إذن فى ذهنك ، و أنت تعرف أنك أخطأت إلى الله ٠

* * *

كذلك ليس الاعتراف مجرد علاقة بينك و بين أب الاعتراف ٠ إنما قبل كل شئ هو علاقة مع الله ٠٠

إنك تعترف إلى الله فى سمع الكاهن ، كما قال يشوع بن نون لغجان " يا ابنى اعط مجداً للرب ٠٠ إعتراف له و أخبرنى الآن ماذا فعلت ٠٠" (يش ٧ : ١٩) ٠٠ كذلك فى التحليل ، أنت تأخذ حلاً من الله من فم الكاهن ٠ بهذا تشعر بوجود الله أثناء الاعتراف ، و تستفيد روحياً من اعترافك ٠ كثيرون ينسون الوجود فى حضرة الله أثناء الاعتراف ٠ فتضيع هيبة الاعتراف ، و لا يستفيدون الفائدة المرجوة ٠

* * *

الاعتراف ودم المسيح

كذلك هناك نقطة هامة فى الاستفادة من الاعتراف ، هى معرفة معنى المغفرة و كيف تتم ٠

كان الشخص الذى يخطئ ، يأتى بذبيحة عن إثمه أو خطيئته ، و يضع يده على رأس الذبيحة ، و يقر بخطاياه (لا ٥ : ٥) ٠ و كان يدرك تماماً أن هذه الذبيحة تموت بدلاً منه ٠ هو يستحق الموت ، و لكن ذلك الحمل المذبوح يموت عنه ٠ و كان وضع يده يدل على أمرين : أنه قبل أن تنوب هذه الذبيحة عنه ٠ و أنه يوضع يده عليها ، تنقل الخطية منه إليها ، هذه الخطية التى يقربها أمام الكاهن ٠٠ فكيف نطبق هذه الأمر فى سر الاعتراف ؟ معناه أن الخطية تنتقل منك إلى حساب المسيح ليمحوها بدمه ٠٠

* * *

إذن اعترافك بخطيتك، معناه أنك تطلب أن يحملها المسيح بدلاً منك تنتقل منك إليه ، فيحملها عنك ٠

هنا تحس جيداً و تدرك ما معنى المغفرة ٠ ليس معناها أن قد تنازل عن حقه ٠ فالعدل الإلهى لابد أن يستوفى ٠ و كيف ذلك ؟ بأن يحمل المسيح خطيئتك و يمحوها بدمه ٠ و هذا ما قيل بسفر اشعياء النبى " كلنا كغنم ضللنا ، و الرب قد وضع عليه إثم جميعنا " " و هو مجروح لأجل معاصينا ٠ مسحوق لأجل آثامنا " (أش ٥٣ : ٦ ، ٥) ٠٠ بهذا الفهم السليم ، تكون مشاعرك نحو الاعتراف و خطورته و المغفرة وكيفيتها ٠٠

* * *

هنا لا ينفصل الاعتراف عن المسيح ودمه ٠٠

و كأنك تقول للأب الكاهن : جئتك يا أبى ، لكى تأخذ دنسى كله ، و تنقله إلى رأس المسيح ، ليحمله عنى : كل دنس الفكر و القلب و اللسان ، و دنس الجسد أيضاً ٠٠ كل خطاياى بلا استثناء ٠ هى إذن عمليه نقل ، و بدون هذا النقل لا تتم مغفرة و هكذا لما اعتراف داود أنه أخطأ ، قال له ناثان " و الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك ، لا تموت " (٢صم ١٢ : ١٣) ٠ نقلها إلى أين ؟ إلى حساب المسيح ٠ و لماذا لا تموت ؟ لأنه سيموت عنك ٠

هذه هى الطريقة الوحيدة للمغفرة ٠ لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩ : ٢٢) ٠ الله يسمع خطاياك التى تعترف بها له فى سمع الكاهن ٠ و ينقلها إلى حساب ابنه الوحيد الذى أرسله كفارة لخطايانا " (١يو ٤ : ١٠) ٠٠ " ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية " (١يو ١ : ٧) ٠

* * *

إذن ضع دم المسيح أمامك فى كل اعتراف ٠ و إن خجلت إخجل منه هو ٠٠

أخجل من هذا الكلى الطهر الذى يحمل نجاستك ٠ هذا القدوس الذى بلا خطية وحده ٠ الذى لم يعرف خطية ، و لكنه جعل خطية لأجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه (٢كو٥ : ٢١) ٠ هذا الخجل الحقيقى بفهمه اللاهوتى ، هو الذى يجعلك تخجل من ارتكاب الخطية مرة أخرى ٠٠ و ليس مجرد خجلك من الأب الكاهن و هو يسمع خطاياك ٠ بل خجلك من الإبن القدوس و هو حامل لخطاياك ٠

* * *

على أن حمل المسيح لخطاياك ، يلزمه منك أمران : الإيمان و التوبة ٠٠

الإيمان به فى فدائه العجيب الذى قدمه لخلاصك ٠ و عن هذا قال الكتاب " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يو٣ : ١٦) ٠٠ كل يؤمن به ٠٠

أما عن التوبة اللازمة لك لاستحقاق المغفرة ، فقد قال عنها الرب " إن لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون " (لو١٣ : ٣ ، ٥) ٠

أتظن الاعتراف بدون إيمان و توبة ، يمكنه أن يخلصك ؟ كلا ٠ أمزج اعترافك إذن بالندم و التوبة و العزيمة الصادقة على تغيير مسلكك ٠ وبهذا تستحق دم المسيح الذى يطهرك من كل خطية ٠ و بهذا تخرج ن اعترافك مغسولاً بالدم الكريم ٠٠

* * *

نصائح للمعترفين

١-ينبغى أن تراعى وقت أب الاعتراف و مسئولياته و صحته ، و أن تراعى أيضاً باقى المعترفين الذين ينتظرون دورهم بعدك ٠ فلا تطيل أزيد مما يجب ، و لا تضيع الوقت فى مقدمات و شروحات لا لزوم لها ٠ أو فى محاولة أن تتذكر ما تريد أن تقوله بل عليك بتحضير اعترافك من قبل ، مع التركيز أثناء اعترافك ٠

* * *

٢-إعرف أنك على قدر ما تفتح قلبك و تكون صريحاً فى اعترافك ، على قدر ما تستفيد روحياً ٠

* * *

٣-عليك أن تحتفظ بسرية ارشادات أب اعترافك ، كما يحتفظ هو بسرية ما تقوله من خطايا ٠ فقد تقول فى اعترافك شكوى أو عثرة من أحد الأشخاص ، فينصحك أب الاعتراف أن تتجنب ذلك الشخص أو تبتعد عنه ٠ فلا تخرج و تقول للبعض " أمرنى أب اعترافى أن أبتعد عن فلان أو فلانه " ٠ فربما تسبب بذلك إحراجاً لأبيك الروحى

* * *

٤-لا تطلب من أب اعترافك أن يكون مجرد جهاز تنفيذ لرغباتك كأن تأتيه بقرارات تطلب منه الموافقة عليها ، و إلا يضيع الوقت فى جدل و بكاء و عذاب لأنه لم يوافقك على ما تريد ٠ الوضع السليم أنك تستشيره و تطلب نصيحته ، لا أن تقدم له قرارات مسبقة ٠ و فى نفس الوقت لا تحاول أن تخفى عنه ما ترى أنه لا يوافق عليه ٠

* * *

٥-لا تسأل أب اعترافك عن أمور ليس من صالحك أن تعرفها ، كأن تسأل فى سياسة الكنيسة و أخبارها ، و لو عن طريق أن تقول له " اتعبتنى أفكار بخصوص موضوع كذا من أخبار الكنيسة " ٠

* * *

٦-ينبغى أن تكون لك ثقة بأب اعترافك ، و لا تضطره فى كل نصيحة أن يقدم لك الكثير من الإثباتات و من البراهين لكى تقتنع ٠ و هكذا قد يبذل جهداً يمكن توفيره ٠

* * *

٧-إذا أتاك فكر شك فى أب اعترافك ، فلا تذكر ذلك بأسلوب جارح ، و إنما لتكن لك الصراحة المؤدبة .

* * *

٨-لا تعامل أب اعترافك معاملة الند بالند ، و لا تعاتبه بشدة . و إنما تذكر باستمرار أنك فى اعترافك عليه ، إنما تقف أمام وكيل الله .

* * *

٩-لا تتملكك الغيرة من معاملة أب الاعتراف لغيرك ممن لهم حالة خاصة . و لا تحاول أن تضغط عليه لمعرفة تلك الحالة الخاصة ، لأنك بذلك تدخل فى سرية اعترافاتهم .

* * *

١٠-لا تكن كثير التردد على أن الاعتراف ، لتسأله حتى عن التافهات ، أو فى كل صغيره و كبيرة ، لئلا يتساءل البعض لماذا يقابلك أكثر منهم و تسبب له حرجاً .

١١-عليك بالطاعة . و لتكن الطاعة الحكيمة .

* * *

١٢-إذا وبخك أب الاعتراف على خطأ ، فلا تتضايق من توبيخه ، إنه لفائدتك . و لا تحاول أن تبرر نفسك فيما تقدمه من اعترافات .

١٣-إن طلبت من أب اعترافك طلباً وصمت ، فلا تقل أن صمته علامة على الموافقة ، ربما صمت لأن ما تطلبه فيه شئ محرج ، أو يكشف عن بعض أسرار الناس أو أن الإجابة لا تفيدك بل قد تضرك . أو أنه أجاب على ذلك من قبل . أو أنه صمت لأنه مرهق . أو لأن السؤال خطأ .

* * *

١٤-فى اعترافك لا تذكر أنصاف الحقائق ، بل الحقيقة كاملة .

١٥-لا تحول الاعتراف إلى شكوى من غيرك . و لا يكن مجالاً للتحدث عن اخطاء الاخرين . تكلم عن أخطائك وحدك .

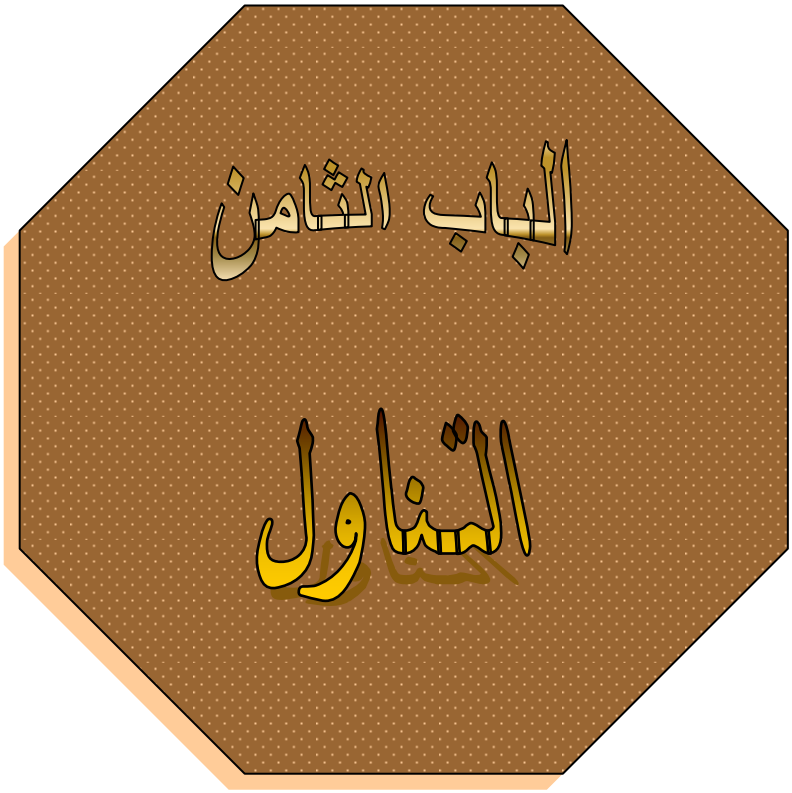
الباب الثامن
التناول

أهمية التناول و فائدته

إن التناول من السرائر الإلهية من أهم الوسائط الروحية و أعمقها اثراً فى الإنسان ٠ سواء من جهة مفعول هذا السر بذاته كما شرح الرب ، أو فائدته الروحية الواضحة فى الاستعداد له ، أو من جهة نتائجة الواضحة و تأثيره الروحى فى المتناول ٠

* * *

١-أول أهمية له هى الثبات فى الرب

و ذلك حسب قول الرب فى إنجيل يوحنا " من يأكل جسدى و يشرب دمى ، يثبت فى و أنا فيه " (يو ٦ : ٥٦) ٠ و هنا لا يتحدث عن الحياة مع الله فقط ، و إنما بالأكثر الثبات فيه ٠

* * *

٢-كذلك التناول هو الخبز الروحى

قال عنه الرب فى (يو٦) إنه الخبز الحى النازل من السماء ، هو خبز الحياة " إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد " و هو " الواهب الحياة للعالم " (يو ٦ : ٣٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١) ٠ و لذلك فإن الذين يترجمون الخبز فى الصلاة الربانية بعبارة " خبزنا الذى للغد " يركزون على الطعام الروحى اللازم لأبدية الإنسان ، بخاصة هذا الخبز الذى للغد " يركزون على الطعام الروحى اللازم لأبدية الإنسان ، و بخاصة هذا الخبز السماوى الذى للغد أى للحياة الأبدية ٠ كما قال الرب " من يأكل جسدى و يشرب دمى ، فله حياة أبدية ٠ ، وأن أقيمة فى اليوم الأخير " (يو ٦ : ٥٤) ٠٠ " من يأكل هذا الخبز ، فإنه يحيا إلى الأبد " (يو ٦ : ٥٨) ٠ إنه خبز الحياة ، لأنه سبب حياة روحية للإنسان ٠

* * *

٣-هذا التناول هو عمليه تطعيم كما فى الأشجار

إذ يمكن أن تطعم شجرة ما بشرة أفضل ، فتبقى هذا الشجرة الأفضل ، بدلاً من طبيعة الشجرة الأولى ٠ و هكذا فإن طبيعتنا البشرية - فى سر الأفخارستيا - تحدث له عملية تطعيم بجسد الرب دمه ٠٠

و قد أعطانا الرب مثالاً لعملية التطعيم ، بكنيسة العهد الجديد (الزيتونة البرية) التى أمكن تطعيمها فى الزيتونة الأصلية التى للعهد القديم ، فأصبحت " شريكاً فى أصل الزيتونة و دسمها " (رو ١١ : ١٧) ٠٠ و بالتناول ، كأغصان فى الكرمة (يو ١٥ : ٥) ، حينما نثبت فيها بالتناول ، تسرى فينا عصارة الكرمة ، فنتغذى بها و نحيا " و نأتى بثمر كثير " ٠٠

* * *

٤-نذكر فى التناول ايضاً بركاته التى نسمعها فى القداس الإلهى فى الاعتراف الأخير ، إذ يقول الكاهن :

" يعطى عنا خلاصاً ، و غفراناً للخطايا أبدية لمن يتناول منه "٠

من منا يستطيع أن يستغنى عن هذه البركة الثلاثية : الخلاص و الغفران و الحياة الأبدية ؟! إن المغفرة التى نستحقها بالتوبة و الإعتراف ، ننالها فى التناول ٠ لأنه " بدون سفك دم لا تحدث مغفرة " (عب ٩ : ٢٢) ٠ و سر الافخارستيا هو استمرارية لذبيحة المسيح الذى نتناول دمه الكريم ٠ و كما قال القديس يوحنا الرسول عن هذا الدم إنه " يطهرنا من الخطية ، يعدنا للحياة الأبدية ٠

٥-التناول أيضاً هو عهد مع الله

كما نذكر قول الرب الذى نردده فى القداس الإلهى " لأنه فى كل مرة تأكلون من هذا الخبز ، و تشربون من هذه الكأس ، تبشرون بموتى ، و تعترفون بقيامتى ، و تذكروننى إلى أن أجئ " (١كو ١١ : ٢٦) ٠ فهل نحن فى كل تناول ، و ندخل فى عهد مع الرب أن نذكره إلى أن يجئ؟!
من أجل هذا العهد بين الرب و بيننا ، فإن يوم الخميس الكبير الذى سلم فيه الرب هذا السر لتلاميذه القديسين ، نسميه (خميس العهد) ٠٠ ليتك تذكر باستمرار فى كل مرة تتناول فيها ، أنك تدخل فى عهد مع الرب ٠٠

الاستعداد للتناول

أخطر عبارة فى ذلك ، قالها لاقديس الأنبا رويس :

قال : يليق بالذى يتناول جسد الرب و دمه فى داخله ، أن يكون من الداخل فى نقاوة أحشاء العذراء التى كان فى داخلها جسد الرب " ٠ ما أخطر هذه العبارة ؟! و نقاوة أحشاء العذراء التى كان فى داخلها جسد الرب " ٠ ما أخطر هذه العبارة ؟! من ذا الذى يستطيعها ؟! لذلك سأكلمكم عن السهل المستطاع ٠ يلزمنا إذا الاستعداد الروحى للتناول :

* * *

و بقدار استعدادنا للتناول ن تكون استفادتنا منه ٠

كثيرون يتناولون ٠٠ آلاف ، بل مئات الآلاف ٠٠ و لكن ليس الجميع يستفيدون نفس الفائدة الروحية !! و لنضرب مثالاً بالرسل الأحد عشر الذين تناولوا فى يوم خميس العهد و من يد الرب نفسه : واحد منهم فقط ، تبع المسيح حتى الصليب ، هو القديس يوحنا الحبيب ، و استحق أن يكلمه لرب ، و أن يعهد إليه بالسيدة العذراء قائلاً " هذه أمك " (يو ١٩ : ٢٧) ٠ فأخذها إلى بيته ، و صارت بركة له ٠٠
و تلميذ من الذين تناولوا ، تبع المسيح حتى بيت رئيس الكهنة ٠ و كان قد تحمس أيضاً و قطع أذن عبد رئيس الكهنة ، دفاعاً عن المسيح (يو ١٨ : ٢٥ ـ ٢٧) ٠ و لكنه عاد فأنكر الرب ثلاث مرات !! و باقى التلاميذ التسعة هربوا وقت القبض على معلمهم و سيدهم !! و الكل كانوا قد تناولوا معاً ٠٠

* * *

إن التناول يذكرنا بمثل الزارع (مت ١٣) ٠

الزارع هو نفس الزارع ، البذار هى نفس البذار ٠ و لكن حسب طبيعة الأرض اختلفت النتائج : فالبعض سقط على الطريق فأكلته الطيور ٠و البعض سقط على الأرض المحجرة ، و إذ لم يكن له عمق أرض جف ٠ و البعض سقط على ارض فيها شوك ، فطلع الشوك و خنقه ٠٠ و حتى الذى سقط على الأرض ، لم يعط ثمراً بمستوى واحد ٠ بل أعطى بعض مائة ، آخر ستين ، و آخر ثلاثين (مت ١٣ : ٣ ٩) ٠٠ هكذا التناول أيضاً ، حسب حالة قلب الإنسان ، و حسب استعداده الروحى ، هكذا تكون استفادته الروحية ٠

* * *

فهو من الوسائط الروحية ، و لكن تختلف فائدته من شخص لآخر ، حسب استعداده له ٠٠

كثيرون يتناولون كثيراً ، بل قد يتناولون كل يوم و فى كل قداس ٠ وربما لا يستفيدون !! وربما من كثرة التناول بلا استعداد ، قد يتحول الأمر إلى مجرد عادة ، و تسقط خيبة الأسرار من قلوبهم ! و غير هؤلاء قليلون يستطيعون الاحتفاظ بهيبة السر و دوام الاستعداد له ٠٠ لذلك اختبر نفسك و انظر : هل المداومة على التناول فى مواعيد متقاربة جداً ، تساعدك على دوام الحرص أم لا ؟ الأمر يختلف من شخص لآخر ٠٠ هنا و نسأل ما هو الاستعداد للتناول ؟

* * *

أولاً : الاستعداد بالاتضاع و بانسحاق القلب

من أجمل قطع القداس الإلهى فى هذا الانسحاق ، صلاة سرية يتلوها الأب الكاهن ، قبل القداس و هو يفرش المذبح ، تسمى (صلاة الاستعداد) يقول فيها : أيها الرب العارف قلب كل أحد ، القدوس المستريح فى قديسيه ، الذى بلا خطية وحده ، القادر على مغفرة الخطايا .. أنت يا رب تعرف أنى غير مستحق و لا مستعد و لا مستوجب لهذه الخدمة المقدسة التى لك ، و ليس لى وجه أن اقترب و افتح أمام مجدك الأقدس . و لكن من أجل كثرة رأفاتك ، و اغفر لى أنا الخاطئ ، و امنحنى أن أجد نعمة ورأفة فى هذه الساعة .. " .

فإن كان الأب الكاهن فى القداس الإلهى بهذا الانسحاق ،فكم بالأكثر يكون باقى الشعب ؟!

* * *

٢-ويلزم للتناول :التوبة و النقاوة الداخلية

و هنا نرى الأب الكاهن نفسه يقوم بعدة أمور :

*يلبس هو و الشماسة الملابس البيضاء (التونيات) الخاصة بالخدمة ، و التى ترمز إلى النقاوة الداخلية . مثلما يلبس المعتمد بعد عماده ملابس بيضاء ترمز إلى الحياة الطاهرة النقية التى نالها بالمعمودية ، إذ لبس بر المسيح (غل ٣ : ٢٧) . و كما يقول السيد الرب " من يغلب ، فذلك سيلبس ثياباً بيضاً .." (رؤ ٣ : ٥) اشارة إلى الحياة المقدسة فى الملكوت الأبدى .. و كما قيل عن ملائكة القيامة إنهم كانوا " بثياب بيض " (يو ٢٠ : ١٢)(مر ١٦ : ٥) (مت ٢٨ : ٣) .. و ذلك يرمز إلى قداسة الملائكة و طهارتهم . و هكذا يكون خدام المذبح الذين يتقدمون للتناول .. و يكون فى هذه الملابس البيضاء قدوة للشعب و مثالاً ..

* * *

***وكما يلبس الكاهن ، يغسل أيضاً يديه قبل القداس ، ويقول " انضح على بزوفاك فاطهر ، واغسلنى فابيض أكثر من الثلج ".**

و يقول أيضاً " اغسل يدى بالنقاوة ، و أطوف بمذبحك يا رب .." إنه درس يقدمه الأب الكاهن للشعب قبل التناول أن تغتسل نفوسهم بالتوبة ، و تصير أبيض من الثلج ..

* * *

*إن التوبة لازمة جداً للتناول . و لعلنا نلاحظ أن السيد المسيح له المجد ، قبل أن يناول تلاميذه فى يوم الخميس الكبير غسل أرجلهم أولاً و قال لهم " أنتم الآن طاهرون ، و لكن ليس كلكم " (يو ٣ : ١٠) . و كان يعنى يهوذا مسلمه ، و لذلك لهم يناوله من الجسد و الدم .

*و لعل من أخطر العبارات التى تقال فى هذا المجال فى القداس الإلهى ، قبل التناول :

" القدسات للقديسين " أى السرائر المقدسة هى للقديسين .

لذلك يسمى القداس الذى يتناول فيه المؤمنون (قداس القديسين) ، لتمييزه عن الجزء السابق له الذى كان يسمى (قداس الموعوظين) . و فيه يستمع أولئك للقراءات و العظة و ينصرفون قبل بداية قداس القديسين الذى يتناول فيه هؤلاء القديسون ..

إذن يحتاج الإنسان إلى قداسة بكى يستحق التناول من الأسرار المقدسة . وهذا يذكرنى بعبارة جميلة قالها صموئيل النبى لأسرة يسى البيتلحمى حينما أراد أن يقدم دبيحة .. قال لهم :

"تقدسوا و تعالوا معى إلى الذبيحة " (١صم ١٦ : ٥) .

* * *

و هكذا " قدس يسى و بنيه ، و دعاهم إلى الذبيحة " .. ليتنا نحفظ تلك العبارات و نرددها فى يوم التناول ، العبارات الخاصة بقدسية المتناولين من تلك السرائر المقدسة و إن لم نستطع أن نصل إلى تلك القداسة فى إيجابياتها الروحية ، فعلى الأقل نتقدم إلى التناول بالتوبة و الاعتراف ، و بعزم أكيد على ترك الخطية ، و البعد عن كل الأسباب التى توصلنا إليها إلى توصلها إلينا . و إن اعترفنا

بخطايانا ، لا يكون اعترافنا مجرد كلام ، بل يكون ندماً حقيقياً ، و توبة عمليه ، حتى تكون أنفسنا و أجسادنا مستحقة لحلول تلك الأسرار المقدسة فيها ، فنقباها بقلوب طاهرة ، و نفوس مستحقة ، و أرواح متصلة بالله ٠٠ و ماذا أيضاً ؟

* * *

٣-يلزم التناول ايضاً استعداداً للجسد ٠ و كيف ؟

نستعد للتناول بطهارة الجسد و صومه و نظافته ٠ و لنتذكر كمثال : استعداد الشعب لتقبل كلام الله فى العهد القديم ، أعنى استلام الوصايا العشر ، و إذ " قال الرب لموسى : اذهب إلى الشعب ، و قدسهم اليوم و غداً ٠ و ليغسلوا ثيابهم ، و يكونوا مستعدين لليوم الثالث " (خر ١٩ : ١٠ ،١١) ٠٠ " فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب و قدس الشعب ، و غسلوا ثيابهم ٠ و قال للشعب : كونوا مستعدين لليوم الثالث ٠ لا تقربوا إمرأة " (خر ١٩ : ١٤ ، ١٥) ٠

* * *

لذلك فالاتصال الجنسى ، و الاحتلام ، و نزيف الدم ، و ما أشبه ، أمور تمنع التناول ٠

ينبغى أن يكون المتقدم للتناول طاهراً ، جسداً وروحاً ٠ و هكذا أيضاً يحسن الاستحمام فى اليوم السابق للتناول ، أو على الأقل الأغتسال لمن يتناول باستمرار ٠ مجرد هذا الأمر - إلى جوار نظافة الجسد الذى بستقبل التناول - يعطى الإنسان إحساساً بأنه يستعد يلزمه لون من اللياقة ٠

كذلك نستعد جسدياً بالصوم ٠

و حسب نظام كنيستنا نصوم منقطعين عن الطعام و الشراب فترة لا تقل عن تسع نكون قد دخلنا فى يوم الجديد (يو التناول) الذى يجب أن نبدأه صائمين ٠ و الصوم ليس مجرد عمل جسدى ، فهو من ناحية أخرى عمل روحى ٠ و هو استعداد لكل نعمة نتلقاها فى كل سر من أسرار الكنيسة ، إلا فى فى الاستثناء المانع كالمرض الشديد ، و حالياً يستثنى سر الزواج أيضاً حسب قول السيد الرب " هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا مادام العريس معهم ؟! مادام العريس معهم لا يستطيعوا أن يصوموا " (مر ٢ : ١٩) ٠ و لكن حينما كان سر الزواج يجرى بعد رفع بخور باكر ، كان يقترن بالصوم أيضاً ٠٠ كم بالأولى التناول ٠

* * *

٤-من شروط الاستعداد للتناول أيضاً : المصالحة ٠

و هكذا قبل بدء قداس القديسين ، قبل أن يرفع الأبروسفارين ، يصلى الكاهن صلاة الصلح ، التى يقول فيها " اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أ ن نقبل بعضا بعضاً بقبلة مقدسة ، لكى ننال بغير وقوع فى دينونة من موهبتك غير المائية السمائية " ٠٠ لاحظ هنا عبارة " لكى ننال بغير وقوع فى دينونة " ٠٠(إذن الذى يتناول بغير مصالحة يقع فى دينونة ٠ ثم ينادى الشماس قائلاً " قبلوا بعضكم بعضاً ٠٠" و هذه القبلة المقدسة تعنى كمال الحب بين الناس ٠ و عبارة " مقدسة " تعنى أنها طاهرة و بغير رياء ، و ليس مثل قبلة يهوذا ، التى تذكاراً لها يمتنع التقبيل فى أسبوع الآلام ٠

* * *

ينبغى قبل التناول أن نكون فى صلح مع الله و الناس ٠

مع الله بالتوبة ، حسب قول الرسول " ٠٠ تصالحوا مع الله " (٢كو ٥ : ٢٠) ٠٠ و مع الناس حسب قول الرب " فإن قدمت قربانك على المذبح ، و هناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك قربانك قدام المذبح ، و اذهب أولاً تصالح مع أخيك ٠٠ " (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) ٠ و عبارة " شيئاً عليك " تعنى أنك فى موقف المذنب ٠ أما الذى يبغضك بغير سبب منك ، كما أبغض شاول داود ، و كما قال داود " أكثر من شعر رأسى ، الذين يبغضوننى بلا سبب " (مز ٦٩ : ٤) ٠٠ فذلك طبعاً لست مطالباً بأن تترك قربانك لمصالحته ٠٠ السيد المسيح نفسه كان يبغضونه بلا سبب (يو ١٥ :

١٨ ، ٢٤ ، ٢٥) ٠٠ أنت أيضاً لست مطالباً بالذهاب لمصالحة من يضطهدونك و من يحسدونك و يعادونك ٠ و لكن هناك قاعدة :

إن كنت أنت المسئ ، اذهب و صالح من أسأت إليه و إن كنت المساء إليه ، فاحفظ قلبك من البغضة

كذلك لست مطالباً بأن تصالح من يعثرك روحياً او أخلاقياً أو فكرياً ، الذى ينطبق عليه قول الكتاب " المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة " (١كو ١٥ : ٣٣) ٠ و الكتاب يطالبنا أن نبعد عن العثرات ، لا أن نذهب لنصالح أصحابها ، و نرجع معهم علاقات تسبب الخطية ٠٠

* * *

كذلك لست مطالباً بأن تذهب لتصالح أصحاب البدع و الهرطقات ٠ أولئك الذين قال عنهم الرسول " إن كان أحد يأتيكم و لا يجئ بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، و لا نقول له سلام ٠ لأن من يسلم عليه يشترك فى أعمال الشريرة " (٢يو ١٠ ، ١١) ٠٠ و لا تسلم على من قال عنه الكتاب " اعزلوا الخبيث من بينكم " (١كو ٥ : ١٣) ٠٠ و عموماً ، لا يكون صلحك مع الناس على حساب صلحك مع الله ٠٠ تحدثنا عن الاستعداد للتناول ، بقى أن نقول :

* * *

يشرح الكتاب عواقب من يتناول بغير استحقاق :

فيقول الرسول عن التناول إذن أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق ، يكون مجرماً فى جسد الرب و دمه ٠ و لكن ليمتحن الإنسان نفسه ٠٠ لأن الذى يأكل و يشرب بدون استحقاق ، يأكل و يشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب ٠ من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء و مرضى و كثيرون و يرقدون ٠ لأننا لو حكمنا على أنفسنا ، لما حكم علينا " (١كو ١١ : ٢٧ ـ ٣١) ٠٠ عبارات خطيرة و محذرة ٠ لذلك اعتدت أن أقول قبل التناول ، وانصح من يتناولون أن يقولوا :

ليس يا رب من أجل استحقاقى أتناول ، إنما من أجل احتياجى ٠ ليس لاستحقاقى بل لعلاجى ٠

ليست لى القداسة التى أتناول بها ــ إنما أنا أتناول ليساعدنى التناول على حياة القداسة ، إذ أنال به قوة روحية ، و دفعة إلى قدام ٠

* * *

فالذى يتناول يشعر بهيبة هذا السر ، و يخجل من ارتكاب الخطية بسبب قداسة التناول ٠ فإن كان يتناول كل أسبوع مثلاً ، يظل الأيام التالية لتناوله مبتعداً عن الخطية بسبب قداسة السر ٠٠ و كذلك فى الأيام السابقة للتناول التالى يكون محترساً مستعداً للتناول فى الأسبوع المقبل ٠٠ فيتعود الحرص ٠

* * *

من أهمية التناول ، فإن الكنيسة تشعرك بأن يوم التناول يوم غير عاد ، بوسائل كثيرة ٠

الاستعداد له الصوم ، طهارة الجسد ، و بالاعتراف و التوبة ، و المصالحة مع الناس ، و الدخول إليه بانسحاق ، و الصلاة قبل التناول و بعده ، و الكنيسة تعد الشخص للتناول بأكثر من تحليل للمغفرة : تحليل فى رفع بخور عشية ، و تحليل فى رفع بخور باكر ، و تحليل الخدام ، و تحليل سرى فى نهاية القداس ٠ كما تعد ذهنه روحياً بالقراءات الكتابية الكثيرة ، و الطقوس الروحية و كل ما فى القداس من تأثير ٠ و بعد التناول تجعله يحترس من أن يخرج ، أو أن يبصق ، احراماً لتناوله ٠

* * *

أتذكر أننى ذات يوم فى بدء رهبنتى ، كتبت فى مذكرتى فى يوم تناولى :

" هذا الفم الذى تقدس بتناول جسد الرب و دم : كلمة زائدة لا تخرج منه ٠ و لقمة زائدة لا تدخل فيه "

الباب التاسع

الصوم

فوائد الصوم و أهميته :

الصوم من الوسائط الروحية الأساسية ٠ فلماذا ؟

لأنه أولاً يفيد فى ضبط النفس ٠

من حيث أن الصائم يمنع نفسه عن تناول الطعام و الشراب بصفة عامة خلال فترة الإنقطاع ٠ و يمنع نفسه عن كل ما يتعلق بالاسم الحيوانى ٠ و هكذا يدخل فى حياته عنصر المنع ٠ يستطيع أن يقول لنفسه كلمة (لا) ، و ينفذ ذلك ٠ و كما يمنع جسده عن الطعام و الشراب ، يتدرج حتى يمنع نفسه عن كثير من الأخطاء ٠

* * *

عنصر المنع هذا ، وضعه الله منذ البدء ٠

و ذلك حينما أمر ابوينا الأولين آدم وحواء أن يمتنعا عن الأكل من شجرة معرفة الخير و الشر ٠ فوضع بذلك مبدأ ضبط النفس من أول تاريخ البشرية ٠ لكى ندرك تماماً أن الحرية ليس معناها التسيب ٠ فعلى الرغم من أن الله كان كريماً جداً مع آدم و حواء ، و صرح لهما أن يأكلا " من كل شجر الجنة " ، إلا أنه وضع ضابطاً هو المنع من شجرة واحدة (تك ٢ : ١٦ ، ١٧) (تك ٣ : ٣) ٠

* * *

لعلنا هنا ندرك تماماً خطورة العبارة التى قالها سليمان الحكيم فى التعبير عن تسيبه فى المتعة ، إذ قال " و مهما اشتهته عيناى لم أمنعة عنهما " (جا ٢ : ١٠) ٠ فلما و صل إلى هذا الوضع ، تطور حتى أخطأ و فقد حكمته ٠ " و لم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه " (١مل ١١ : ٤) ٠ و عصفت به الشهوات الكثيرة

* * *

و الصوم أيضاً دليل على الارتفاع فوق مستوى الجسد ٠

ففيه لا نعطى الجسد كل ما يطلبه من الطعام ، أو كل ما يشتهيه من الطعام ٠ و بهذا نرتفع فوق مستواه ٠ بل نرتفع فوق مستوى المادة بصفة عامة ٠ و هكذا نعطى الفرصة للروح ، لكى تأخذ مجالها ، متذكرين قول الرب " اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية " (يو ٦ : ٢٧) ٠ و قول الرسول " لأن اهتمام الجسد هو موت ٠ و لكن اهتمام الروح هو الحياة و سلام " (رو ٨ : ٦) ٠

إن الروح تكون فى حالة أقوى فى وقت الصوم ٠

فى الصوم تكون صلواتنا أعمق ، و تأملاتنا أعمق ٠ و تكون صلتنا بالله أقوى ٠ و حتى ألحاننا أيضاً ٠ فوق كبير بين أن نسجل لحناً من ألحان البصخة فى نفس أسبوع الآلام ، و أن نسجل نفس اللحن فى غير فترة الصوم ٠ و ليس أثر الصوم فى تقوية الروح قاصراً على المسيحيين فقط ، بل إن الهندوس و اليوجا و البوذيين يجدون قوة للروح بتداريب الصوم و النسك ، و تصفوا أرواحهم أكثر

* * *

إذن فالصوم ليس نافعاً فقط من جهة محاربة الأخطاء محاربة الأخطاء ة السلبيات ، إنما يفيد إيجابياً فى تقوية الروح ٠

لذلك نجد غالبية المناسبات الروحية تسبقها أصوام ٠

فأسرار الكنيسة مثلاً ، كالمعمودية و الميرون و التناول و الكهنوت ، لابد أن يسبقها الصوم ٠ و كذلك نوال بركة الأعياد يسبقة الصوم ٠ فنصوم أسابيع طويلة قبل عيدى الميلاد و القيامة ، و قبل

عيد الرسل و عيد و العذراء و قبل عيد الغطاس نصوم يوم البرامون ٠ و ما أجمل قول سفر أعمال الرسل (قبل وضع الأيدى على برنابا شاول) : " وفيما هم يخدمون الرب و يصومون ، قال الروح القدس : افرزوا لى برنابا و شاول العمل الذى دعوتهما إليه ٠ فصاموا حينئذ و صلوا ، ووضعوا عليهما الأيادى ٠٠" (أع ١٣ : ٢ ، ٣) ٠

* * *

و من أجمل ما قيل أيضاً فى أثر الصوم روحياً : العلاقة بين الصوم و إخراج الشياطين :

و فى ذلك قال السيد الرب فى معجزة إخراجه لشيطان عنيد لم يقو التلاميذ على اخراجه ٠٠ حينئذ قال الرب " و أما هذا الجنس ، فلا يخرج إلا بالصلاة و الصوم " (مت ١٧ : ٢١) ٠٠ ذلك لأن صلاة الصائم تكون لها روحياتها و تأثيرها ، و الصائم يكون أكثر قرباً من الله ، و أكثر قوة على الشياطين ٠

* * *

و كان القديسون يستخدمون الصوم فى وقت الضيقات ٠

و لنا مثال واضح جداً فى ذلك صوم استير و الشعب كله ، حينما تعرضوا لمؤامرة هامان (أش ٤ : ١٦) و كيف كانت استجابة الرب سريعة و عجيبة ٠ كذلك نسمع عن صوم نحمياً لما جاءته الأخبار أن " سور أورشليم منهدم ، أبوابها محروقة بالنار " (نح ١ : ٣ ، ٤) ٠ و يروى سفر نحميا أيضاً كيف كانت استجابة الرب سريعة و عجيبة ٠٠ كذلك يروى لنا الكتاب كيف صام عزرا و هو باك ، و كيف كان تأثير ذلك فى تنقية الشعب و تطهيره ٠ كما يروى لنا الكتاب أيضاً صوم دانيال النبى و أثر ذلك (دا ٩ : ٣ ، ٢١) (دا ١٠ : ٣ ، ١٢) ٠

* * *

و كان للصوم تأثيرها أيضاً فى مجال التوبة ٠٠

لقد تاب أهل نينوى ٠ و لم تكن توبتهم مجرد رجوعهم عن حياة الشر امتزجت هذه التوبة بصوم و نسك شديدين ، اشترك فيه الشعب كله و ملكهم ٠ و قبل الله صومهم و توبتهم وغفر لهم خطاياهم (يون ٣) ٠

* * *

و من أروع ما قيل فى امتزاج التوبة بالصوم ، قول الوحى الإلهى فى سفر يؤئيل النبى " الآن يقول إرجعوا إلى بكل قلوبكم ، و بالصوم و بالبكاء و النوح " (يؤ ٢ : ١٢) ٠ وداود النبى يشرح عمق صومه فيقول " أذللت نفسى " (مز ٣٥ : ١٣) وأيضا " ابكي بالصوم نفسي " (مز ٦٩ : ١٠) ٠
و كثير من صلوات الآباء و الأنبياء من أجل طلب المغفرة ، كانت مصحوبة بصوم ، كصلوات دانيال و عزرا طلباً لمغفرة خطايا الشعب ٠
والصوم أيضاً له علاقته بالخدمة ٠
و لعل أبرز مثل لذلك السيد المسيح نفسه الذى بدأ خدمته بصوم أربعين يوماً ٠ و على نسقه كل الآباء الأساقفة و الكهنة الجدد يبدأون خدمتهم الكهنوتية الصوم ٠٠ و نفس الآباء الرسل القديسين بدأوا خدمتهم كذلك بالصوم ٠ و تحقق فيهم قول السيد نفسه " حين يرفع العريس عنهم ، حينئذ يصومون " (مر ٢ : ٢٠)

* * *

ولم يكن الصوم فقط فى بدء خدمة الآباء الرسل ، بل كان يتخللها أيضاً ٠ و فى ذلك يقول القديس بولس الرسول عن خدمته " فى أصوام مراراً كثيرة " (٢كو ١١ : ٢٧) و يقول أيضاً " بل فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام لله ٠٠ فى أتعاب فى اسهار فى أصوام ٠٠ " (٢كو ٦ : ٤ ، ٥) ٠٠
أتراك يا أخى جربت فى حياتك الصوم من أجل الخدمة ، و الصوم لحل مشاكلها و لحل المشاكل عموماً ؟

الصوم الروحى المقبول:

و لكن لعل البعض يسأل الرب ، كما حدث فى أيام أشعياء النبى ، و يقول :

لماذا صمنا و لم تنظر؟أذللنا أنفسنا و لم تلاحظ؟ (أش ٥٨ : ٣) ٠

و يجيبك الرب كما أجاب أولئك و قال لهم : " أمثل هذا يكون صوماً أختاره ؟!" (أش ٥٨ : ٥) ٠

* * *

إعلم يا أخى أنه ليس كل صوم مقبولاً أمام الله ٠ فالفريسى الذى كان يصوم يومين فى الأسبوع ، لم يخرج من الهيكل مبرراً كما خرج العشار (لو١٨ : ١٢ ،١٤) ٠ و كذلك الصوم البعيد عن التوبة ، مثل صوم أولئك الخطاة أيام ارمياء النبى الذين قال عنهم الرب " حين يصومون لا أسمع صراخهم ، و حين يصعدون محرقة و تقدمة لا أقبلهم " (أر ١٤ : ١١ ، ١٢) ٠ و كذلك أيضاً صوم المرائين ، الذين يظهرون الناس صائمين (مت ٦ : ١٦ – ١٨) ٠

* * *

فلا تقل إذن ، صمت و لم أستفد روحياً !!

إن حدث ذلك ، فربما تكون أصوامك غير روحية ٠ أو أنك تصوم و فى نفس الوقت تحيا فى الخطية !! إذن علينا أن نعرف كيف نصوم ؟ و ما هو المعنى الحقيقى للصوم ؟ و كيف نستفيد منه روحياً ؟

* * *

كثير من الناس يهتمون فى الصوم بشكلياته ، أو أنهم يفهمونه على أنه مجرد الطعام النباتى !! أو أنهم لا يهتمون بالجانب الروحى خلال الصوم !! لهؤلاء أقول : أن تعريف الصوم من جهة الجسد هو أنه الامتناع عن الطعام فترة معينة من الوقت ، يعقبها طعام خال من الدسم الحيوانى ٠

* * *

فهل تمارس هذا الانقطاع عن الطعام و الشراب ؟ و هل تصل فيه إلى مرحلة الجوع و تحتملها ٠

هذا هو التدريب الأول ، أعنى الجوع ٠٠ لقد قيل عن صوم السيد المسيح إنه " جاع أخيراً " (مت ٤ : ٢) (لو٤ : ٢) ٠ و قال القديس بولس الرسول عن صومه مع زملائه " فى جوع و عطش ، فى أصوام مراراً كثيرة " (٢كو ١١ : ٢٧) ٠ وورد عن صوم القديس بطرس الرسول إنه " جاع كثيراً و اشتهى أن يأكل " (أع ١٠ : ١٠) ٠ فهل تختبر الجوع فى صومك ؟

عندما تجوع تشعر بضعفك ، فلا تفتر بقوتك ، بل تلجأ إلى قوة الله لتسندك ٠ و عندما تجوع و تحتمل الجوع ، تكتسب فضيلة الاحتمال و ضبط النفس ٠ لذلك لا تأكل كلما جعت أثناء الصوم ، إنما أصبر و احتمل ٠ وخذ بركة الاحساس بالجوع و احتماله و الصبر عليه و أيضاً عندما تجوع تشعر بألم الفقراء الذين ليس لديهم ما يأكلونه ، فتشق عليهم و تعطيهم ٠٠ هذا من جهة فترة الانقطاع فى الصوم ٠

* * *

نصيحة أخرى ، و هى أن تبعد عما تشتهيه ٠٠

تذكر قول دانيال النبى عن صومه " لم آكل طعاماً شهياً ، و لم يدخل فمى لحم و لا خمر " (دا ١٠ : ٣) ٠٠ أقول ذلك لأن كثيرين يأكلون مشتهيات كثيرة من الطعام النباتى ، و يلتذون بها ٠ و بالتالى لا يشعرون حقاً أنهم صائمون ، و لا يستفيدون وقتذاك من صومهم ، و بخاصة إن كانت لهم أم زوجة تتفنن فى صنع الطعام (الصيامى) ، و تجعله أشهى من الأطعمة الحيوانية ٠

و لذلك أضع أمامك هنا ملاحظتين فى صومك : الأولى أنك لا تطلب أصنافاً معينة تلذ لك ٠ و الثانية أنه لو وضعت أمامك مثل هذه الأصناف المشتهاة – دون أن تطلب – لا تملأ شهوتك منها ٠ خذ قليلاً و اترك الباقى ، و اضبط نفسك ٠ أو اخلط أصنافاً بأصناف ، و بحيث تفقد حدة حلاوتها و لذة مذاقها ٠٠

ليتك تتدرج فى الصوم ، حتى تصل ليس فقط إلى الجسد الجائع ، بل إلى الجسد الزاهد ٠

بحيث يزهد جسدك هذه المتع التى تقدمها الأطعمة ٠ إن عنصر المنع يبدأ أولاً ٠ و لكنك حينما تدرب نفسك عليه وتعتاده ، حينئذ لا تبذل مجهوداً لتمنع نفسك ، لأنك تكون قد زهدت هذا الذى كنت تشتهيه أولاً ، و تمنع نفسك عنه ٠ وهذا الزهد فى الأطعمة و المشروبات يتطور معك حتى تزهد فى ملاذ أخرى كثيرة ، مثل متع الحواس مثلاً ، شهوات الجسد المتعددة ٠٠ و حينئذ يرتفع مستواك الروحى ٠٠

* * *

و يدخل عنصر المنع فى مجالات عديدة ٠

فكما تتدرب على منع فمك عن الطعام و الشراب ، تتدرج إلى منع لسانك عن الكلام البطال وعن الأفكار الباطلة و الخاطئة ٠ وتمنع قلبك عن كل شعور خاطئ ، وعن كل الشهوات و العواطف غير النقية ٠ و تتدرج هكذا من صوم الفم إلى صوم اللسان ، إلى صوم الفكر ، إلى صوم القلب ٠

* * *

ولا يكون لك فقط جسد صائم ، وإنما أيضاً نفس صائمة ٠٠

ويصبح الصوم مجرد تعبير عن حالة النقاوة الداخلية التى وصلت إليها ٠ و يكون الصوم عبارة عن فترة روحية تحياها ٠٠ وبكثرة الممارسة تتعودها ، و تصبح فضائلها بالنسبة إليك هى منهج حياة أعنى أن ما تستفيده روحياً أثناء صومك ، لا نفقده حينما ينتهى الصوم و تفطر ، بل يستمر معك ٠ حقاً إنه قد تغير نوع طعامك ، ولكن لم تتغير الفضائل التى اقتنيتها أثناء الصوم ٠٠

* * *

وهنا نفرق بين الإفطار و التسيب ٠

لأن كثيرين يضبطون أنفسهم أثناء الصوم ٠ فاذا ما انتهى وحل العيد ، يفقدون كل ما قد اقتنوه ، و يظنون أن الإفطار يعنى التسيب وعدم ضبط النفس !! لذلك فالإنسان الذى يتخذ الصوم كواسطة روحية ، هو الإنسان الذى يحتفظ فى قلبه وفى نفسه وفى إرادته ، بكل ما قد اقتناه أثناء الصوم فتستمر الفائدة معه ٠ و إن كان الصوم قد ساعده على التخلص من عادة رديئة أو من عادة معينة ، لا يعود إلى ذلك مرة أخرى حينما يفطر ٠

إستمرار الصوم بالفضائل

ولكى يستفيد الإنسان من الصوم ، و لكى يدخل إلى روحانية الصوم ، و يصير الصوم فضيلة لروحه و ليس لجسده فقط :

عليه أن يخلط صومه بفضائل معينة تناسب الصوم و تتمشى معه ٠

*فالصوم لابد أن تصحبه الصلاة ٠ لماذا ؟ لأننا نصوم ليس فقط لكى نقهر الجسد و نستعبده (١كو٩ : ٢٧) ، بل لكى نعطى للروح أيضاً فرصة تتغذى فيها بكل الأغذية الروحية النافعة لها : بالصلاة ، و القراءة الروحية ، و التأمل ، و محبة الله ٠ و فى قسمة الصوم المقدس فى القداس الإلهى نكرر عبارة " بالصوم و الصلاة ٠٠" و يقيناً أن الروح إذا أخذت غذاءها ، تستطيع أن تحمل الجسد أثناء صومه فلا يتعب ٠ وهذا نلاحظه فى إسبوع الآلام ، إذ لا نشعر أبداً بثقل الصوم لأن الروح تتغذى خلاله بالقراءات و الألحان و الذكريات المقدسة ٠ و هكذا نستطيع أن نقول عن الصوم الروحى :

* * *

***الصوم أيضاً لابد أن يرتبط بالتوبة ٠**

لأن المهم فى الروحيات هو القلب النقى ، وليس مجرد الجسد الجائع ٠ و أيضاً لكى يقبل الله صومنا ، ولكى نشعر أننا استفدنا من الصوم ٠
و هكذا يقول لنا الوحى الإلهى فى سفر يوئيل " قدسوا صوماً ، نـــادوا باعتكـــاف " (يـــؤ٢ : ١٥) ٠فالصوم إذن هو فترة مقدسة ٠ وكيف تكون مقدسة بدون توبة ؟! وما نحصل عليه من مشـــاعر التوبة أثناء الصوم ، يجب أن يستمر معنا ٠

* * *

***الصوم أيضاً يصحبه التذلل أمام الله ٠**

و هكذا قال داود النبى " أذللت بالصوم نفسى " (مز ٣٥ : ١٣) ٠ و فى صوم أهل نينوى ، جلسوا على المسوح و الرماد (يون٣) ٠ و كما ينسحق الجسد بالصوم ، كذلك ينبغى أن تنسحق الروح ٠ و لذلك فإن الأصوام تصحب بالمطانيات ٠
و لا تكتفى فيها بأن ينحنى جسدك ، إنما تنحنى روحك أيضاً ، كما قال داود النبى " لصقت بـــالتراب نفسه " (مز١١٩) و لم يقل فقط " لصقت بالتراب رأسى" ٠٠
و فى هذا التذلل ، تطلب النفس من الله رحمة ، لها و لغيرها ٠ و أيضاً تعترف بخطاياها و تطلـــب مغفرة ٠ وكما قال يوئيل النبى " مزقوا قلوبكم لا ثيابكم ٠ و ارجعوا إلى الرب إلهكم " (يـــوء ٢ : ١٣) ٠

* * *

***الصوم أيضاً تصحبه الصدقة ٠**

فالإنسان الذى يطلب رحمة من الله فى فترة الصوم ، عليه أن يرحم غيره و يعطيه

الباب العاشر

العطاء
وشركة الله فى أموالنا

من العبارات الجميلة التى وردت فى هذا الموضوع ، قول بولس الرسول لرعاة كنيسة أفسس : متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال : **مغبوط هو العطاء أكثر من الاخذ (أع ٢٠ : ٣٥)** ٠
فلماذا طوب الرب العطاء ؟ لاشك لأسباب كثيرة :

تطويب العطاء

فى العطاء تشرك الغير فى الذى لك ، بل بالحرى تشرك الله نفسهفى أموالك ٠ ليس فقط حينما تعطى للكنيسة ، إنما حينما تعطى للمحتاجين أيضاً ٠ ألم يقل الرب " ٠٠ لأنى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فسقيتمونى ٠ كنت غريباً فآويتمونى ، عرياناً فكسوتمونى ، مريضاً فزرتمونى " ٠٠ و شرح ذلك فى قوله عن كل هؤلاء المحتاجين : **"بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى قد فعلتم" (متـ ٢٥ : ٣٥ - ٤٠)**
إذن ما تعطيه لأحد من المحتاجين ، إنما تعطية للرب نفسه ٠ سواء كان طعاماً لجوعان ، أو كساء لعريان ٠٠ أو مجرد زيارة تزورها لمريض أو لسجين ٠٠ هذه الزيارة هى أيضاً لون من العطاء ،تعطى فيه حباً و مشاركة وجدانية ، عطاء للنفس و ليس للجسد ٠٠

* * *

العطاء إذن هو خروج من الذات للشركة مع الآخرين ٠
الإنسان المنطوى على ذاته ، يبعد عن الغير ، لا يأخذ و لا يعطى ٠ و الإنسان الأنانى يحب دائماً أن يأخذ لا أن نعطى ٠ و الإنسان الاجتماعى يأخذ من الناس و يعطى ٠ أما الإنسان المحب الباذل ، فهو الذى دائماً يعطى ٠ هو الذى يفضل غيره على نفسه ٠٠٠

يأخذ دائماً من نفسه ، لكى يعطى لغيره ٠
و من هنا كانت فضيلة العطاء تمتزج على الدوام بإنكار الذات ٠ فيها تكون الذات فى المتكأ الأخير ، بينما الأولوية للغير ٠ لا يفكر الإنسان فى احتياجاته الشخصية ولوازمه ، إنما يفضل غيره على نفسه ٠ و هكذا فعلت أرملة صرفة صيدا فى أيام المجاعة ، حينما قدمت لإيليا النبى حفنة الدقيق التى عندها ، و القليل مما فى كوز الزيت ، لهذا بارك الله بيتها بركة عظيمة (١مل ٧ : ١١-١٩)

* * *

و بالمثل فعلت الأرملة التى دفعت فلسين فى الصندوق ، فطوبها الرب أكثر من كل الذين أعطوا ٠
لماذا ؟ **"لأنها من أعوازها أعطت" (لو ٢١ : ٤)** ٠
و ليس فقط أعطت من أعوازها ، بل أنها أيضاً " أعطيت كل معيشتها " ، كل الذى لها ٠ و هنا نرى نفس القاعدة التى ذكرناها و هى تفضيل الذات ٠٠ يعيش غيرى ، ولو أموت أنا ٠ يستوفى هو حاجته ، أو أساهم فى سد احتياجاته ، مهما كنت أنا محتاجاً ٠ و فى تطويب الرب لهذه الأرملة ، و نلمح قاعدة هامة هى : **إن الله ينظر عمق العطاء لا إلى مقداره٠**
ومن مظاهر هذا العمق ، ارتباط العطاء بالحب ٠ فتحب أن تعطى ، و تحب الذى تعطيه ٠ ولذلك فالعطاء الذى يفيدك روحياً ، هو الذى تعطية ، لا عن ضجر و لا تذمر و لا اضطرار ، بل بكل مشاعر الرضا و الفرح ٠ و كما قال الكتاب : **" المعطى المسرور و يحبه الله " (٢كو٩: ٧)**
فأنت تحب الإنسان المحتاج ٠ و بدافع المحبة تعطية ٠ و تظهر محبتك فى طريقة تعاملك و أنت تعطى ٠ و يحس المحتاج بمحبتك فيفرح بها أكثر من فرحه بما يأخذه ٠ إنه يأخذ منك مشاعر قبل أن يأخذ ماديات ٠ و يحس أن عطاءك ليس لوناً من المظاهر أو الرسميات ، بل هو عاطفة و

مشاركة ، أنت أيضاً لا تكون أقل فرحاً منه و أنت تعطيه ٠ كالأم التى تفرح و هى تعطى لا بنهـا ، فرحاً سابقاً للعطاء ، و مصاحباً له ، و فرحاً بفرح ابنها و هو يأخذ ٠

ولنا مثال كتابى ، بفرح الشعب حينما كان يعطى لبناء الهيكل ايام داود النبى ٠

وفى ذلك يقول الكتاب " وفرح الشعب بانتدابهم ، لأنهم بقلب كامل انتدبوا للرب (دفعوا بإرادتهم) وداود الملك فرح فرحاً عظيماً ٠ و بارك الرب أمام كل الجماعة و قال " ولكن من أنا و مـن هـو شعبى ، حتى نستطيع أن نتتدب هكذا ؟! لأن منك الجميع ، ومن يدك أعطيناك " " أيها الرب إلهنـا ، كل هذه الثروة التى هيأناها لنبنى لك بيتاً ٠٠ إنما هى من من يدك ولك الكـل " (١ أى ٢٩ : ٩ ، ١٤ ، ١٦) ٠

* * *

جميلة هذه العبارة " من يدك أعطيناك "٠

نحن لا نملك شيئاً ٠ كل منا يقول ما قاله أيوب الصديق " عرياناً خرجت من بطن أمـى " (أى ١ : ٢١) ٠ و كل ما نملكه حالياً ، نقول فيه أيضاً مع أيوب " الرب أعطى " ٠ نقول للرب مع داود " هو من يدك ، ولك الكل "٠لذلك حسناً أننا فى كل عطاء نقدمه للرب ، نقول له فيه " من يدك أعطيناك "٠

* * *

حقاً ، إنه تواضع من الله الغنى ، أن يأخذ منا "٠

إنه يعطينا فرصة نعبر فيها عن مشاعرنا ٠ تماماً مثل الأب الذى يقبل هدية من أبنه ، يعبر بها الابن عن محبته لأبيه ، بينما ثمن هذه الهدية هو أيضاً من مال أبيه ، و كأنه يقول له كذلك " مـن يـدك أعطيناك " ٠٠ الله الغنى ، مصدر كل غنى ، الذى له الأرض و ما عليها " (مز ٢٤ : ١) الله الذى يشبع كل حى من رضاه ، من محبته يحب أن يشركنا معه فى العناية لبيته و بأولاده ، و يكافئنا على ذلك ٠٠

* * *

يعطينا ما نعطية ، يكافئنا حينما نعطى ٠٠ وفى كل ذلك يدربنا على العطاء ٠

يعطينا الحياة و الوجود ٠ ثم يقول لنا : فى كل أسبوع حياة أعطية لكم ، إعطونى منه يوماً يسمى " يوم الرب " ٠٠ و أعطيكم مالاً ٠ وفى كل ما أعطيه لكم من مال ، اعطونى العشر ٠٠ وفى كل ذلك نقول له : يا رب من يدك أعطيناك ٠٠ أنت هو المعطى لنا ، ولمن نعطيهم ٠ و أنت أيضـاً الـذى تعطينا محبة العطاء٠

* * *

أعطني صحة وقوة ، و أنا أخدمك بها ٠

وكلما أتعب فى خدمتك ، و كلما أبذل فى خدمتك ، لا أحسب نفسى مطلقاً أننى قد أعطيتك شـيئاً ٠٠ فالصحة من عندك ، و القوة من عندك ، و محبة الخدمة هو أيضاً من عندك ٠ بل أنا نفسـى مـن عندك ٠ كان ممكناً أنى لا اولد و لا أوجد ٠ وأنت أعطيتنى هذا الوجود الذى أخدمك به ، و أعطيتنى الكلمة التى أقولها ٠٠ وفى كل خدمتى لك وتعبى من أجلك ، أقول " من يدك أعطيناك "

كيف تعطى ؟

لذلك كله ، ينبغى أن يكون العطاء بغير افتخار ٠

لا افتخار باللسان ، و لا بمشاعر القلب من الداخل ، ولا بالفكر ٠٠ وكأنك قد أعطيت من عنـدك !! ٠٠ هنا و أتذكر عمق الكلمات التى قالها الرسول " أى شئ لك لم تأخذه ؟! و إن كنت قـد أخـذت ،

فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ ؟! " (١كو ٤ : ٧) ٠٠ و إن كان كل ما نعطية قد أخذناه من الرب ، ألا يكون أفتخارنا بالعطاء افتخاراً باطلاً ؟!

* * *

لذلك أمر الله أن يكون العطاء فى الخفاء ٠

وقال " احترزوا من أن تصنعوا صدقة قدام الناس ، لكى ينظروكم ٠ و إلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات " ٠ وقال " لتكون صدقتك فى الخفاء ، و أبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية " (مت ٦ : ١ ، ٤) ٠ و هذا الخفاء ، لا يقصد به الرب أن يكون خفاء على الناس فقط ، و إنما على نفسك أيضاً ٠ فلا تعد أو تحصى كم أعطيت ، و إنما :

" لا تعرف شمالك ، ما تفعله يمينك " (مت ٦ : ٣)

لا تذكر كم أعطيت ، و لا تتذكر كم أعطيت ٠٠ و لا تحسب عطاياك ٠ و حاول أن تنساها جميعها ، حتى لا يحاربك بذلك شيطان المجد الباطل ، أيضاً حتى لا تستوفى خيراتك على الأرض من تمجيد ذاتك لك ٠٠٠

* * *

روى عن القديسة ميلانيا ، فى بدء حياتها الروحية قبل أن تترهب ، حينما كانت تقدم إحسانات كثيرة للأديرة و الرهبان ٠٠ أنها فى إحدى المرات وضعت فى كيس خمسمائة قطعة من الذهب ، و سلمته للقديس الأنبا بموا ليعطيه للرهبان الساكنين فى البرية الداخلية ٠ فنادى القديس على تلميذه ، و سلمه الكيس كما هو دون أن يفتحه و كلفه بتوزيعه على أولئك الرهبان ٠٠ وهنا قالت له ميلانيا " ولكنك لم تفتحه يا أبى لتعرف كم فيه ؟" ٠ فرد عليها القديس قائلاً " إن كنت قدمت هذا المال لله ، فالله يعرف مقداره كم هو " ٠٠ وكان ذلك درساً لميلانيا

* * *

صفة أخرى من صفات العطاء ، وهى السخاء ٠

يقول الكتاب " المعطى فبسخاء " (رو١٢ : ٨) ٠ و يأمرنا أيضاً أن نكون " أسخياء فى العطاء ، كرماء فى التوزيع " (١تى ٦ : ١٨) ٠ ويقول " من يزرع بالشح / فبالشح أيضاً يحصد ٠ ومن يزرع بالبركات ، فبالبركات أيضاً يحصد " (٢كو ٩ : ٦) ٠ و يعلل الرب ذلك بقوله " بالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم " (لو٦ : ٣٨)

* * *

لا يكفى إذن أن تعطى ، إنما كن كريماً فى عطائك ٠

أمامنا مثل جميل فى الكتاب هو أرونه اليبوسى ، حينما أراد داود الملك أن يشترى منه بيدره لكى يبنى مذبحاً للرب ٠ ففرح أرونة بذلك ، وأراد أن يتبرع بالبيدر و كل ما فيه ٠ و لذلك قال لداود عن البيدر " فليأخذه سيدى الملك ، و يصعد ما يحسن فى عينيه ٠ أنظر: البقر للمحرقة ٠ و النوارج و أدوات البقر حطباً " (٢صم ٢٤ : ٢٢) " الكل دفعه أرونى إلى الملك ٠ و لكن داود قال لأرونة " بل اشترى منك بثمن ، و لا أصعد للرب إلهى محرقات مجانية " ٠٠ كل منهما يريد أن يدفع ، و برضى و فرح ، و بسخاء ٠٠

* * *

و لنتذكر قصة أبينا ابراهيم ، لما زاره ثلاثة رجال :

قال لأمنا سارة " إسرعى بثلاث كيلات دقيق ٠٠ و اصنعى خبز مله " " ثم ركض ابراهيم إلى البقر ، و أخذ عجلاً رخصاً وجيداً ، و أعطاه للغلام ، فأسرع ليعمله ٠ فأخذ زبداً و لبنا و العجل الذى عمله ، ووضعها قدامهم " (تك ١٨ : ٦-٨) ٠٠ هل ثلاثة رجال يحتاجون إلى ثلاثة كيلات دقيق ٠٠ و إلى عجل بأكمله ، بالإضافة إلى الزبد و اللبن ؟ أم هو كرم أبينا ابراهيم ؟ ٠٠ أو أنه لفرحه

بضيوفه أراد أن يأكل الكل معهم ، الغلمان ورعاة الغنم يأكلون من العجل ، و أيضاً من الخبز الساخن ٠معهم٠

* * *

و بنفس الكرم فى عطائنا ن يعاملنا الله ٠٠
و هكذا قال " اعطوا تعطوا ، كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً ، يعطون فى أحضانكم " (لو ٦ : ٣٨) ٠ و أيضا " هاتوا جميع العشور إلى الخزانة ٠٠ و جربونى بهذا قال رب الجنود ، إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات ، و افيض عليكم بركة حتى لا توسع ٠٠" (ملا ٣ : ١٠) ٠٠ وقيل أيضاً " أكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلتك ، فتمتلئ خزائنك شبعاً ، و تفيض معاصرك مسطاراً " (أم ٣ : ٩)

* * *

ومن أيات التى تدعو إلى الكرم فى العطاء ، قول الرب ٠٠

اذهب بع كل مالك ، و أعط للفقراء (مت ١٩ : ٢١) ٠

و أيضاً " بيعوا امتعتكم و اعطوا صدقة " (لو ١٢ : ٣٣) ٠ وكذلك قوله " من سألك فاعطيه ٠ ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده " (لو ٦ : ٣٠) ٠ وأيضاً يقول الكتاب " من له ثوبان ،فليعط من ليس له ٠ ومن له طعام ، فليفعل هكذا " (لو ٣ : ١١) ٠

* * *

ومن الصفات الجميلة فى العطاء :

*أن تعطى دون أن يطلب منك ذلك ٠ فهكذا يفعل أبونا السماوى معنا ٠ و هكذا يفعل الأب والأم مع أولادهم ٠ لتكن لك الحساسية نحو ما يحتاجه الناس ، و لا تحوجهم أن يسألوا و يطلبوا ٠
*لا تؤجل العطاء ٠ فربما التأخير يسبب أضراراً للمحتاجين ٠ وفى ذلك يقول الكتاب " لا تمنع الخير عن أهله ، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله ٠ لا تقل لصاحبك : اذهب وعد فأعطيك غداً ، وموجود عندك (أم ٣ : ٢٧ ، ٢٨) ٠

* * *

***درب نفسك أن تعطى من أفضل ما عندك ٠**

فكثيرون لا يعطون إلا الملابس الممزقة أو القديمة ، و الأشياء التالفة عندهم أو المرفوضة منهم ٠٠ هذه يقدمونها للمسيح فى أشخاص الفقراء ٠ ليتنا فى كل ذلك نتذكر قرابين هابيل الصديق ، إذ قيل عنه " و قدم هابيل من أبكار غنمه ومن سمانها ٠ فنظر الرب إلى هابيل و قربانه " (تك ٤ : ٤) ٠٠ " من أبكار غنمه و من سمانها " أى أفضل ما عنده ٠

أمثلة

لقد قدم التاريخ أمثلة عجيبة فى العطاء ٠

القديس الأنبا ابرام أسقف الفيوم ، و القديس الأنبا صرابامون أبو طرحه أسقف المنوفية ، و قصص عطائهما كثيرة جداً و عجيبة ، ليس الآن مجالها ٠٠ و القديس يوحنا الرحوم الذى باع كل شئ و أعطاه للفقراء ٠ و إذ لم يجد شيئاً آخر يبيعه ، باع نفسه عبداً ، و تبرع بالثمن للفقراء ٠ أيضاً القديس سيرابيون ، الذى أعطى ثوبه لفقير و مشى عرياناً و باع إنجيله أيضاً و أعطى الثمن للفقراء ٠ فلما سأله تلميذه عن ذلك ، أجابه : كان الإنجيل يقول لى إذهب بع كل مالك و اعطه للفقراء ، فبعته إذ لم يكن لى غيره

* * *

وفى العصر الرسولى قيل " كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت ، كانوا يبيعونها و يأتون بأثمان المبيعات و يضعونها عند أرجل الرسل ٠ فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتيـــاج (أع ٤ : ٣٤ ، ٣٥) ٠

شركة الله فى أموالك

يشترك الله فى مالك لكى يباركه ، لا ليأخذ منه ، فهو مصدر لكل غنى ٠ و يشترك فى مالك ، لكـــى يشركك معه فى عمل الخير الذى يمكن أن يقوم به وحده ، و لكنه - من تواضعه -يجب أن يتم هـــذا الخير بواسطتك ٠

* * *

أقدم اشتراك لله فيما أعطاه للإنسان ، كان هو الذبائح و المحرقات ٠

وهو أمر قديم جداً ، أقدم من الشريعة المكتوبة ٠ بل هو منذ نشأة الإنسان نفســـه ٠ ويـــروى لنـــا الكتاب تقدمة هابيل البار فيقول إنه " قدم للرب من أبكار غنمه ومن سمانها ٠ فنظر الرب إلى هابيل و قربانه " (تك ١ : ٤) ٠ و لعل هابيل أخذ فكرة تقديم الذبيحة و المحرقة عن أبيه آدم الذى أخذها من الله نفسه ٠ هنا نرى أيضاً نشأة التقليد Tradition ونشأة الذبائح ، و نشأة التقدمات ، أعنى تقديم شئ لله ، بما كان يحمله ذلك من رمز ٠

* * *

و استمرت فكرة الذبائح و المحرقات فى تاريخ البشرية ٠

نسمع عن المحرقات التى أصعدها أبونا نوح من على المذبح بعد رسو الفلك ، فتنسم الـــرب منهـــا رائحة الرضا (تك ٨ : ٢٠ ، ٢١) ٠ و نسمع عن ذبائح أبينا ابراهيم (تك١٢) ٠ وعن محرقـــات أيوب الصديق (أى ١ : ٥) ٠٠ و نظمت الذبائح و المحرقات و التقدمات فى الشريعة المكتوبـــة ، فى سفر اللاويين أيام موسى النبى ٠ و كانت تحمل رموزاً ٠
وإن كانت ذبيحة المسيح قد حلت محل خروف الفصح (خر١٢) و محل المحرقة و ذبيحة الخطية و ذبيحة الإثم ، إلا أن ذبيحة السلامة التى كانت تعبر عن الشكر و عرفاناً بجميل الرب ، و يأكل منهـــا مقدمها و أصحابه معه ، لا يزال الكثيرون يقدمونها إلى الآن ، بأسلوب يختلف عن العهد القديم فى كثير من التفاصيل ٠٠

ننتقل إلى نقطة أخرى و هى العشور ٠٠

و العشور هى أيضاً أقدم من الشريعة المكتوبة ٠ نسمع عن أبينا يعقوب لما رأى سلماً بين الســـماء و الأرض ، أنه قال الله " إن كان الله معى و حفظنى ٠٠ و رجعت بسلام إلى بيت أبى ، يكون الرب لى إلهاً ٠٠ و كل ما تعطينى فإنى أعشره لك " (تك ٢٨ : ٢٠ – ٢٢) ٠
ولعل يعقوب قد أخذ فكرة العشور عن جده أبينا ابراهيم ، الذى قدم العشور إلى ملكى صادق كـــاهن الله العلى " فأعطاه عشراً من كل شئ " (تك ١٤ : ٢٠) ٠

* * *

ثم أمر الله بالعشور فى الشريعة أيام موسى النبى ٠

فقال " تعشير كل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة " (تث ١٤ : ٢٢) ٠ " وكل عشر الأرض من كل حبوب الأرض و أثمار الشجر ، فهو للرب ، قدس للرب ٠٠" (لا ٢٧ : ٣٠) ٠ " عشر حنطتك و خمرك و زيتك " (تث ١٢ : ١٧) (تث ١٤ : ٢٣) " و أما كل عشر البقر و الغنم ، فكل ما يعبر تحت العصا ، يكون العاشر قدساً للرب " (لا ٢٧ : ٣٢) ٠ و بالإجمال لخص زكا العشار كل فى عبارة واحدة قال فيها " و أعشر جميع أموالى " (لو ١٨ : ١٢) أو هى عبارة أبينا يعقوب أبى الآباء " وكل ما تعطينى أعشرة لك " (تك ٢٨ : ٢٢) حتى الكاهن الذى كان يأخذ العشور من الشعب ، كان يقدم عشرها للرب ، رفيعة للرب ٠ وكانت أعشار هذه تسمى الرفائع (عد ١٨ : ٢٦ ، ٢٨) ٠

و الذى لا يدفع العشور ، يعتبر أنه سلب الرب ٠

ورد هذا صراحة فى سفر ملاخى النبى ، حيث قال الرب " أيسلب الإنسان ؟! فإنكم سلبتمونى ٠ فقلتم بما سلبناك ؟ فى العشور و التقدمة ٠٠ هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ٠٠ و جربونى قال رب الجنود : إن كنت لا أفتح لكم كوى السماء ، و أفيض عليكم بركة حتى لا توسع ٠٠" (ملا ٣ : ٨-١٠)

* * *

المال الذى لا تدفعه فى العشور ، هو مال ظلم ٠

لأنك سلبت فيه الرب ، و ظلمت الكنيسة كما ظلمت الفقراء أصحابه ٠٠ لذلك قال السيد الرب " اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم " (لو ١٦ : ٩) ٠ هؤلاء الأصدقاء هم الفقراء الذين يصلون من أجلكم " حتى يقبلوكم فى المظال الأبدية "
حتى إن كنت محتاجاً ، ادفع العشور متمثلاً بتلك المرأة التى دفعت من أعوازها (لو ٢١ : ٤) ٠
و لعل البعض يسأل هنا :

* * *

هل نعطى أقربائنا من العشور ؟!

نعم ، اعطهم إن كانوا محتاجين ٠ فإن الرسول يقول " إن كان أحد لا يعتنى بخاصته و لا سيما أهل بيته ، فقد أنكر الإيمان و صار شراً من غير المؤمن " (١تى ٥ : ٨) ٠٠ إذن أعطهم ، و لكن لا تعطهم وحدهم ٠ لئلا يظن أن مجرد الواجب ، أو رابطة الدم ، هى التى دفعتك للعطاء ٠ فإن أعطيتهم الكل ، تكون قد بخست حق باقى الفقراء المستحقين معهم أو الذين قد يكونون استحقاقاً للعطاء منهم ٠٠

* * *

كل مال يصل إليك ، إفرز عشره للرب ٠٠

سواء كان مرتبك الثابت ، أو موارد أخرى إضافية ، أو منحاً أو موارد طارئة ٠ سواء كان مالاً أو أشياء عينية تعرف قيمتها و يدفع عشرها ٠٠ الكل تخصم عشره ، و تفرزه فى صندوق خاص بالرب ٠ و لا تقع فى الخطأ الذى يقع فيه كثيرون : إذ ينفقون من إيرادتهم اولاً ، ثم يفحصون هل تبقى لله شئ أم يتبق !! جاعلين استحقاقات
الرب فى آخر القائمة ، أو قد ينسونها ! أو يعتبرون مصروفاتهم الأخرى تحت قائمة الضروريات ٠ أما نصيب الرب ، فمن الكماليات أو من الفائض ! أما أنت فاخصمه من إيرادك مباشرة ، كما كما تخصم منك أمور رسمية معينة ٠٠

* * *

و اعلم أن العشور هى الحد الأدنى فى العطاء ٠

إنها تدخل فى العطاء اليهودى و ليس المسيحى ٠ أما فى المسيحية ، فيقول الكتاب " من سالك فاعطه " (مت ٥ : ٤٢) ٠ و يقول أيضاً " لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ٠٠ بل اكنزوا لكم كنوزاً

فى السماء " مت ٦ : ١٩ ، ٢٠) ٠ إذن لا يصح أن تكتفى بدفع العشور ، ولا تعطى مـن يحتـاج بينما عندك ما تكنزه ٠

و لا تقل عند دفع العشور إن الله قد استوفى حقه!! أو استوفى كل حقه عليك!!

و يستريح ضميرك عند هذا الحد ، وتغلق قلبك أمام طلبات المحتاجين ! فإن الكتاب يقول " من يسد أذنيه عن صراخ المسكين ، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب " (أم ٢١ : ١٣) ٠٠ لتكن المحبة ثابتة فى قلبك ، ولا تتعامل مع الله ومع الكنيسة ومع الفقراء بعلم الحساب دون القلب !! و كلما عرضـت أماك مناسبة لعمل الرحمة ، لا تغلق أمامها قلبك بحجة أنك قد دفعت العشور ٠٠٠

* * *

فى عطائك ارتفع فوق مستوى العشور ٠٠

فقد قال السيد المسيح له المجد "إن لم يزد بركم على الكتبة و الفريسـين ، لـن تـدخلوا ملكـوت السموات " (مت ٥ : ٢٠) ٠ و الكتبة و الفريسيون كانوا بلاشك يدفعون العشور ٠ إذن لابـد أن تدفع أكثر ٠ لا تكن ناموسياً تكتفى بحرفية الناموس ٠ إنما فى عطائك تعامل بقلبك و بحبـك ٠ و لا تحب مالك أكثر مما تحب الفقراء ٠ واذكر قول الرب " إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك و أعط الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء " (مت ١٩ : ٢١) ٠ و إن سمعت هـذه العبـارة ، فـلا تمضى حزيناً مثل الشاب الغنى الذى كان أول من سمعها ٠٠ على أن العشور ليست هى كل شـركة الرب فى مالك ٠ **هناك أيضاً وصية البكور :**

نسمع عرضاً عن البكور فى تقدمة هابيل البار الذى قدم من " أبكار غنمه ومن سمانها " (تك ٤ : ٤) ٠ يعنى أفضل ما عنده ٠ وكان ذلك طبعاً قبل الشريعة المكتوبة ٠٠أما فى شريعة موسـى ، فقـد نظم الله البكور فى كل شئ ، سواء فى الإنسان أو الحيوان ، أو فى ثمار الأشـجار ٠ فعـن بكـور المواليد ، قال :

"قدس لى كل بكر ، كل فاتح رحم ٠٠ من الناس ومن البهائم ٠ إنه لى " (خر ١٣: ٢) ٠

وكان الأبكار من كل الشعب من نصيب الرب يخدمونه ، إلى أن استبدلهم بسبط لاوى و بنى هرون ٠ فهم الأبكار بالمعنى الرمزى أو الروحى ٠٠ و حتى بعد اختيار سبط لاوى ، ظل البكر بمكانته كقدس للرب ، تقدم عنه ذبيحة فى الهيكل ٠ و هكذا قيل عن السيد المسيح فى يـوم الأربعـين لمولـده " صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب ٠ كما هو مكتوب فى ناموس الرب إن كل ذكـر فـاتح رحـم يدعى قدوساً للرب ، و لكي يقدموا ذبيحة كما قيل فى ناموس الرب "(لو ٢ : ٢٢ ، ٢٣) ٠

* * *

فما الذى نقدمه للرب من أولادنا ؟!

ألا يشمل العطاء الأبناء أيضاً ؟! إن لم يكن كل بكر ، فعلى الأقل بعض الأبناء ٠٠ إن لم يكن الإبـن الوحيد ، كما ذهب أبونا ابراهيم ليقدم ابنه وحيده اسحق ، فعلى أحد الأبناء ٠٠ إن كان مطلوباً للرب ككاهن أو راهب ، أو لخدمة التكريس أياً كانت ٠٠

* * *

إن تقدمة البكور أقوى من العشور ٠٠

لأنها تكون كل ما للإنسان فى ذلك الوقت ،فالابن البكر عند ولادته يكون هو الابن الوحيد ، وعنـدما قدمت حنة ابنها صموئيل ، كان و قتذاك ابنها الوحيد ٠ و حينما صار يوحنا نصيباً للرب ، كان هو الابن الوحيد لزكريا و اليصابات ٠ و أيضاً السيد المسيح هو الابن البكر للعذراء ، و هو أيضاً ابنها

الوحيد ، ليس فقط وقت ولادته ، إنما خلال كل حياتها ٠٠ الابن البكر له مكانته الكبيرة ، وله فرحته وإعطاؤه للرب يحمل تفضيلاً للرب على النفس بالنسبة إلى المعطى ٠

* * *

ولم تقتصر وصية البكور على الابن البكر ، إنما شملت كل البكور ، فأمر الرب من جهة :

بكور المحاصيل ، و ثمار الأشجار ٠

وقال فى ذلك " أول أبكار أرضك تحضره للرب إلهك " (خر ٢٣ : ١٩) ٠ " تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن ٠ فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم " (لا ٢٣ : ١٠) ٠ " تأخذون من أول كل ثمر الأرض ٠٠ و تضعه فى سلة ٠٠ و تأتى (به) إلى الكاهن ٠٠ ثم تضعه أمام الرب إلهك " (تث ٢٦ : ٢-١٠)

* * *

كذلك أمر الرب من جهة بكور الحيوانات ٠

فقال " تقدم للرب كل فاتح رحم ، وكل بكر من نتاج البهائم التى تكون لك ، الذكور للرب ٠ و كن كل بكر حمار تفديه بشاه " (خر ١٣ : ١٢ ، ١٣) ٠٠ " لى كل فاتح رحم ٠ كل ما يولد ذكراً من مواشيك ، بكراً من ثور وشاة ٠ أما بكر الحمار فتفدية بشاه " (خر ٣٤ : ١٩) ٠

* * *

و أيضاً أول العجين ٠٠

حتى حينما يعجنون للخبز ، ورد فى سفر حزقيال " وتعطون الكاهن أوائل عجينكم ، فتحل البركة على بيتك " (خر ٤٤ : ٣٠) ٠ و هكذا يأخذ الرب من أوائل (بكور) كل الذى لك ٠ فتجعل الرب أولاً فى كل شئ ٠ يكون أول من يأخذ من شجرك و أرضك و غنمك و بهائمك ، بل أيضاً أول نسلك ٠ فيبارك الرب الكل ٠ و حتى حينما أخذ اللاويين بدلاً من الأبكار ، طلب أن تقدم ذبيحة عن بكرك ، لتفديه ، فقال " و كل بكر إنسان من أولادك تفديه " (خر ١٣ : ١٣ ، ١٥) ٠

* * *

كيف ننفذ إذن وصية البكور فى أيامنا ٠

ليست ثروة كل الناس محاصيل الأرض أو نتاج الماشية و الأغنام ٠ ففى عصرنا الحاضر :

*تدفع للرب أول مرتب تستلمه فى وظيفتك ، و يفضل أول شهر من مرتبك ٠ فالذى يعين فى وظيفة فى الربع الأخير من الشهر ، هل يكفى أن يدفع هذا الربع باعتباره البكور ؟

* * *

*تدفع للرب أيضاً أول علاوة ، وأول زيادة فى ترقيتك ، وأول منحة ، وأول أجر لعمل إضافى : بالنسبة إلى الطبيب مثلاً أول كشف أو أول عملية جراحية ٠ و بالنسبة إلى المدرس أول درس خصوصى ٠٠ و هكذا فى باقى الحرف و الوظائف ٠ بالإضافة إلى العشور و البكور توجد مشاركة أخرى لله ٠ فى مالك و هى : **حق الله فى النذور :**

النذور

و النذور هى شئ آخر غير العشور و البكور ٠ هى تعهد منك أمام الله ، فى حال عير يقدمه الله لك ، أو مساعدة فى أمر ما ، أو إنقاذ من ضيقة ٠٠ ومن أجمل و أشمل ما ورد عن النذور فى الكتاب ، ما ورد فى سفر الجامعة الاصحاح الخامس ٠ حيث يشمل :

الوفاء بالنذر ، عدم تأخيره ، عدم تغييره ٠٠

فقيل : " أوف بما نذرته ٠ أن لا تنذر خير من أن تنذر و لا تفى " (جا ٥ : ٤ ، ٥) " إذا نذرت نذراً لله ، فلا تتأخر عن الوفاء به " (جا ٥ : ٤) ٠ " لا تستعجل فمك ، ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله ٠٠ لا تقل قدام الملاك أنه سهو ٠ لماذا يغضب الله على قولك ويفسد عمل يديك " (جا ٥ :٢ ، ٦) ٠

* * *

وحينما نتكلم عن النذر ، نقصد نذر المال أو نذر الحياة ٠٠

لا تتسرع فى أن تنذر شيئاً للرب لا تقدر فيما بعد على تنفيذه ٠ ولا تنذر البتولية مثلاً فى حالة انفعال روحى ، ثم تدرك أنك غير مستطيع أن تحيا هذه الحياة ٠ فبدلاً من النذر ، قدم رغباتك كصلاة ٠٠ قل له : يا رب ، هذه هى أمنية قلبى ٠ فإن رأيت أن ذلك نافع لى وممكن ، حققه لى ، و امنحنى القوة على التنفيذ ٠ و لتكن مشيئتك فى حياتى ٠ نقطة أخرى فى شركة الرب فى أموالك وهى

القرابين التى نتقرب بها إلى الله

و الكنيسة تذكر كل تلك العطايا فى " أوشية القرابين " ٠٠ الذين يقدمون للكنيسة : الخمر و الزيت و البخور و الستور ، و كتب القراءة وأوانى المذبح ٠ و تطلب أن يعوضهم الرب الفانيات بالباقيات ، و الآرضيات بالسماويات ٠ أصحاب الكثير و أصحاب القليل ٠ بل تصلى أيضاً من أجل " الذين يريدون أن يقدموا و ليس لهم ، أى نية العطاء "٠

* * *

فهل لك نصيب فى أوشية القرابين ؟

البعض مثلاً يحب أن يقدن دقيقاً نقياً لخبز (الحمل) ٠ و البعض يسأل عن احتياج الكنيسة ليقدمة ، بدلاً من أن يقدم الناس عشرات الستور ، بينما تحتاج الكنيسة إلى أشياء أخرى ضرورية ٠ أو يقدم البعض أيقونات عديدة ، الكنيسة ليست فى حاجة إليها ، ولا يوجد بينها توافق فى الفن ٠

* * *

يقدم لنا الكتاب أمثلة أخرى من العناية بالفقراء٠

فيقول مثلاً " وعندما تحصدون حصيد أرضكم ، لا تكمل زوايا حقلك فى حصادك ٠ ولقاط حصيدك لا تلتقط ٠ للمسكين و الغريب تتركه " (لا ٢٣ : ٢٢) ٠ و يقول أيضاً " ست سنين تزرع أرضك و تجمع غلتها ٠ و أما فى السابعة فتريحها ٠ و تتركها ليأكل فقراء شعبك وفضلتهم تأكلها حيوانات الأرض ٠ وكذلك تفعل بكرمك وزيتونك " (خر ٢٣ : ١٠ ، ١١) ٠ كيف نطبق هذا المبدأ الروحى ، فى الحياة غير الزراعية ؟ ٠٠

* * *

على كل من أجل كلمات الكتاب عن العطاء ، قول الرب " ولا يظهروا أمامى فارغين " (خر ٢٣ : ١٥) (خر ٣٤ : ٢٠) ٠

* * *

الباب الحادي العاشر
الخدمة
وشروطها الناجحة

أهمية الخدمة و عموميتها :

ليست الخدمة قاصرة على الذين يعملون فى مجال التعليم ، إنما هى لازمة للكل و نافعة للكل ٠ و تعتبر من الوسائط الروحية العامة ٠ و هى مبدأ روحى عام يطالب به كل مؤمن : الكبار و الصغار ، المتزوجين و غير المتزوجين ٠ يكفى قول الكتاب :

" من يعرف أن يعمل حسنا ولا يفعل ، فتلك خطية له " (يع ٤ : ١٧)٠

فالخطايا ليست هى فقط السلبيات فى تصرفات الإنسان ، إنما عدم عمل الخير يعتبر خطية ٠ ولذلك فالإنسان الروحى هو الذى يعمل الخير باستمرار ، كصورة لله الذى نصفة بأنه " صانع الخيرات " ٠ وكما قيل عن السيد المسيح له المجد ، إنه " كان يجول يصنع خيراً " (أع ١٠ : ٣٨) ٠ فهل أنت كذلك ؟

* * *

الإنسان الروحى لا يحيا لنفسه فقط ٠٠

بل إن المثل المشهور يقول " ما عاش من عاش لنفسه فقط " ٠ إذن فى الخدمة لابد أن تخرج من فوقعة نفسك ، لتلتقى بالغير ٠ تخرج من مجال (الأنا) ٠ لتشبع من حبك للكل ٠ و تشعر أن رسالتك فى الحياة أن تفعل خيراً نحو كل من يدفعه الله فى طريقك وكلما تكتسب خبرة فى الحياة وسعة فى القلب ، تتسع دائرة خدمتك ٠ فلا تقتصر على بيتك وأسرتك ، ولا على أقاربك و جيرانك و معرفك وزملائك و أصدقاءك ، بل تصل إلى نطاق أوسع وأوسع ٠٠

* * *

و الخدمة فى جوهرها ، إن هى إلا تعبير عن الحب المختزن فى القلب من نحو الله و الناس ٠٠

فالمفروض فى كل مؤمن أن يحب الله من كل القلب و الفكر و النفس ٠ وهذه وصية منذ العهد القديم (تث ٦ : ٥) ٠ و قد تكررت فى العهد الجديد أيضاً (مت ٢٢ : ٣٧ ، ٣٩)٠ و المحبة ليست مجرد شئ نظرى ٠ فالكتاب يقول " لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل و الحق " (١يو٣ : ١٨) ٠ و المحبة العملية تظهر عن طريق الخدمة ٠ فأنت تحب الله ، فتعبر عن محبتك له بنشر ملكوته ، بخدمة الكنيسة و خدمة الكلمة ٠ و أنت تحب الناس فتخدمهم بكل الوسائل المتاحة لك و النافعة لهم ٠٠

* * *

المهم أن يوجد فى حياة الإنسان ، كل إنسان ، عنصر البذل و العطاء ٠

وهكذا تجد أن الخدمة قد اكسبتك فضيلة روحية ، هى الحب و العطاء و البذل و تكون قد استفدت من خدمتك ٠٠ وقد تخدم الفقراء ، وتجد أن الفقراء أو الاحتياج ، تتبرم بهؤلاء ، ولا تيأس منهم ، ولا تتضايق ، و لا يكون رد الفعل عندك هو أن تعاملهم معاملة سيئة ٠٠ ربما سمح الله لك أن تلتقى بهؤلاء لتتعلم الاحتمال وطول البال ، وأيضاً الحكمة فى التصرف ، أو خدمتهم روحياً لكى يتخلصوا من مثل هذه الطباع السيئة ٠ وتكون أنت قد استفدت فضائل فيما تخدمهم ٠٠

أنواع من الخدمة :

و الخدمة على أنواع : منها الإجتماعية ، و منها الروحية ، و خدمات أخرى كثيرة ٠٠

ومن أجل ما قيل فى الخدمة الروحية ، قول الكتاب " من رد خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت و يستر كثرة من الخطايا " (يع ٥ : ٢٠) ٠ وأيضاً " لاحظ نفسك و التعليم وداوم على

ذلك . فإنك إن فعلت هذا ، تخلص نفسك و الذين يسمعونك أيضاً " (١تى ٤ : ١٦) . إذن هى خدمة تتعلق بخلاص النفس . ما أمجدها !! و الكتاب يقول "نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس " (١بط ١ : ٩) .

* * *

أما الخدمة الإجتماعية ، فمن سموها أيضاً جعلها الرب ميزاناً للدينونة فى اليوم الأخير :

إذ يقول للذين عن يمينه " كنت جوعاناً فأطعمتونى ، عطشت فسقيتمونى . كنت غريباً فآريتمونى ، عرياناً فكسوتمونى ، مريضاً فزرتمونى . محبوساً فأتيتم إلى " (مت ٢٥ : ٣٥ – ٤٠) . و يشرح ذلك بقوله " بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى قد فعلتم " . معتبراً كل هؤلاء المحتاجين كشخصه تماماً ..

ويقول الكتاب أيضاً " الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : افتقاد اليتامى و الأرامل فى فى ضيقته ، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم " (يع ١ : ٢٧) .

* * *

و قد رأينا أنواعاً من الخدمة تشمل المجتمع كله . و تتعداه إلى مستوى عالمى ..

فالهيئات العالمية مثل الصليب الأحمر و جمعيات الإسعاف ، و الهيئات الدولية للإغاثة ، و أمثالها ، هذه التى تقدم معونة لكل محتاج أينما كان ، سواء فى البلاد التى حديث فيها كوارث طبيعية كالفيضانات مثلاً ، أو كوارث حربية ، أو مجاعات ، تجد المعونات تصلها من بلاد بعيدة ربما ما كانت تعرفها من قبل ، ولا كانت بينها وبينها صلة . ولكنه الشعور الإنسانى و المحبة نحو الكل ، التى تهب من تلقاء ذاتها لإغاثة المحتاج .

* * *

فإن كانت الهيئات العلمانية التى لا صلة لها بالكنيسة تفعل هكذا ، فكم بالأولى نحن ؟!

أنت مطالب أن تفعل شيئاً من أجل أخيك الإنسان . وقد أعطانا الرب مثال السامرى الصالح (لوقا ١٠ : ٣٠ – ٣٧) الذى أغاث و هو سائر فى الطريق إنساناً ، على الرغم من وجود عداوة بين شعبه وشعبه . و لكنها المحبة التى لا تعرف تفريقاً .

و لا يقل أحد فى نفسه " لست مدعواً للخدمة" !! كلا ، فأنت مدعو أن تحب الكل ، و تعبر عن محبتك بالخدمة . أما الخدمة التعليمية فتحتاج إلى أن ترسلك الكنيسة (رو ١٠ : ١٥) لأنه ليس كل إنسان صالحاً للكرازة و التعليم ..

* * *

إذن هى أنواع عديدة من الخدمة . وكل إنسان يخدم حسب النعمة المعطاة من الله .

ولا يستطيع إنسان مطلقاً أن يقول إن الله لم يهبه أية إمكانات للخدمة . لابد أنه يستطيع أن يفعل شيئاً .. و الإنسان الخدوم ، أقصد الذى فيه روح الخدمة ، تجده يخدم فى كل مجال : فى البيت ، فى مكان العمل أو الدراسة ، فى الكنيسة ، فى الطريق ، فى النادى .. مع كل أحد . إنه إنسان معطاء . كل من يقابله ، لابد أن ينال من عطائه .

* * *

أسأل نفسك إذن : ما نصيب الآخرين فى حياتى ؟

إن التكريس يحتاج إلى دعوة . أما الخدمة العامة فلا تحتاج إلا إلى الحب ، و الدافع القلبى نحو خدمة الأخرين . و هذه فى حد ذاتها دعوة قلبية ..

أتذكر فى إحدى المرات سألنى طبيب جراح عما يستطيع أن يعمله لأجل الآخرين . فقلت له : على الأقل عشر العمليات الجراحية التى تقوم بإجرائها ، لتكن للفقراء بالتنازل عن أجرك من مهنتك ..

فوائد الخدمة روحياً

إن الخدمة تقوى روحيات الخادم • كما أن روحيات الخادم تقوى الخدمة فأنت فيها تعطى و تأخذ •

ولذلك نعتبر أن الخدمة من الوسائط الروحية ، إن سلك فيها الإنسان حسناً • فكما تعطى المخدومين حباً من قلبك ، كذلك يشبع قلبك حباً بهذه الخدمة • لاشك أن الإنسان الذى يخدم الأيتام أو المرضى أو المعوقين أو الفقراء و المحتاجين عموماً ، يشبع قلبه فى هذه الخدمة بمشاعر عميقة تسمو بنفسه ، و تغنيه عن عواطف العالم الزائلة • فإن العاطفة التى يكتسبها الإنسان من ملاقاة الألم و المعاناة ، هى أقوى بكثير من العواطف التى تقدمها مجالات اللهووالترف • و هكذا أنت تأخذ من خدمتك أكثر بكثير مما تعطى • مجرد شعورك أن أسعدت إنساناً ، أو حللت مشكلة ، يفيض على قلبك بمشاعر عميقة •

و هناك ألوان من الخدمة ، غير التعليم •

كنت أعرف زميلاً فى مدارس الأحد منذ حوالى ٤٥ عاماً ، لم يكن له فصل فى التدريس ، إنما كانت خدمته هى الافتقاد وحل مشاكل الناس قبل أن تتعقد ، و أحياناً حل المشاكل المعقدة • و كان يجد سعادة كبيرة فى هذه الخدمة • و كان يرى يد الله فى كل ما يحله من مشاكل ، أقصد فى المشاكل التى يحلها الله على يديه ، و كان يحكى لنا عن عمل الله ، حديثاً روحياً ممتعاً جداً •

* * *

إذن من الفوائد التى تتركها الخدمة فى حياتك : الخبرات الروحية •

إنه شرف عظيم لك فى الخدمة أنك تعمل مع الله • كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولوس (نحن عاملان مع الله " (١كو ٣ : ٩) • أنت فى الخدمة تعمل مع الله معك ، و يعمل فيك ، و يعمل بك • و فى كل ذلك ترى عجائب من عمله ، و تلمس كيف تتدخل يد الله ، فتحل كل الأمور المعقدة ، أو تفتح لك بعض الأبواب المغلقة ، أو تقدم لك حلولاً ما كنت تفكر فيها ، أو ترسل لك تفتح لك بعض الأبواب المغلقة ، أو تقدم لك حلولاً ما كنت تفكر فيه ،أو ترسل لك معونات من حيث لا تدرى • فتمجد الله فى كل عمله • أم الذين لا يخدمون ، فإنهم يحرمون أنفسهم من كل هذه الخبرات ، ومن شركة الله فى الخدمة ••

* * *

الخدمة أيضاً تفيدك فى أنها مدرسة للصلاة :

إنك كلما تخدم ، كلما تشعر أن هناك أموراً تحتاج إلى معونة إلهية ، فتتدرب على الصلاة من أجلها ، كما أنك تصلى لكى يبارك الله العمل و يدخل فيه ولا يتركك وحدك • كذلك تصلى لكى تكون خدمتك روحية ، و ليست مجرد نشاط أو روتين ، أو مجرد عمل اجتماعى • كذلك كثيراً ما تصلى مع المخدومين ، أو تدخلك الخدمة فى اجتماعات صلاة • و هكذا تتدرب على عمل الصلاة

* * *

و الخدمة عموماً تدخل الإنسان فى جو روحى •

وهذا نافع له بلا شك • إذ يجد نفسه فى جو كنسى ، ومع أشخاص روحيين ،وملتزماً بمبادئ وقيم روحية • وقد يجد نفسه فى الخدمة ملتزماً أيضاً باجتماعات وقداسات • ويجد نفسه كذلك ملتزماً بحياة روحية خاصة حتى يكون فى خدمته قدوة للمخدومين ، أو على الأقل لا يكون عثرة لهم • بل يردد قول الكتاب

"من أجلهم أقدس أنا ذاتى ، لكى يكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق " (يو ١٧ : ١٩)

السيد المسيح قال هذه العبارة بمعنى • وأنت تقولها بمعنى آخر ، لتكون حياتك مقدسة فى الخدمة ، ومثالاً للمخدومين فى كل عمل صالح •

* * *

وقد تقول لله فى صلاتك : إن هؤلاء الناس يا رب ، يحتاجون أن أكون متصلاً بك باستمرار من جهتهم ٠ فأعطى أن تكون لى هذه الصلة بك ٠ ليس من أجلهم فقط ، و إنما أيضاً من أجل نفسى ، لكى ترعانى و ترعاهم ، و تحفظنى و تحفظهم ٠ و ليتنى أكون جسراً صالحاً يصلون به إليك أو أكون حاملاً لهم أمامك فى قلبى ٠٠٠
و بهذا تجد أن الخدمة أوجدت لك صلة بالله ٠ و أصبحت هذه الصلة من ضروريات الخدمة ٠ و بالتوالى تصبح الخدمة أيضاً ضرورة توصلك بالله باستمرار ٠ و لذلك أستطيع أن أقول :

* * *

غالبية الذين تركوا الخدمة فترت حياتهم ٠

ولم تعد لهم الحرارة التى كانت لهم أثناء خدمتهم ، ولا الصلاة ولا العمق ولا الالتزام ٠٠ ولم تعد الغيرة المقدسة التى كانت لهم ، ولا حتى الفضائل الاجتماعية التى صاحبت الخدمة ٠
و الخدمة أيضاً كثيراً ما تعطى فرصاً أوسع لقراءة الكتاب المقدس ، و للمعرفة الروحية بوجه عام ٠ مع ما يصحب ذلك أيضاً من تأمل ومن تفسير ، و بخاصة للذين يخدمون خدمة روحية أو تعليمية بكافة أنواعها ٠

* * *

وهكذا تكون من فائدة الخدمة تنمية المعرفة الروحية ، وربما المعرفة الدينية من نوام متعددة ٠

وهذه المعرفة تأتى من مصادر كثيرة : منها القراءة سواء قراءة الكتاب المقدس أو سير القديسين أو الكتب الروحية ٠ و تأتى أيضاً من حضور الاجتماعات الدينية الخاصة بالخدمة ٠٠ وكذلك مما يسمعه الإنسان فى القداسات من فصول الكتاب ومن العظات ٠٠
وهذه المعرفة تدخل الإنسان فى تدريبات روحية عملية ٠ وإن ترك الخدمة ، ربما يترك كل هذا ٠٠

* * *

بل قد يأخذ الإنسان ألواناً أخرى من المعرفة ٠

فبعرف مشاكل الناس ، ويعرف تفاصيل كثيرة عن النفس البشرية و ما يجول فيها من مشاعر ٠ و يعرف حروب الشياطين و حيلهم ٠ و يعرف ايضاً الحلول العملية لكل هذا ، و إن كانت خدمته تتطرق أيضاً إلى معالجة ما يتعرض له الناس من مشاكل داخلية و خارجية ٠ فإن لم يكن يعرف ، فعلى الأقل سيرى كيف يتدخل المرشدون الروحيون أو الآباء فى هذه المشاكل ، و كيف يحلونها ٠ وفى كل ذلك تزداد خبراته فى الحياة ٠

خدمة غير ظاهرة

هناك أنواع من الناس لم يذكرنا لنا الكتاب خدمتهم أو تفاصيلها ، إنما كانوا يخدمون الخدام ، أو يقدمون الإمكانات للخدمة ٠

نسوة كثيرات كن يتبعن السيد المسيح " و يخدمنه من أموالهن " (لو ٨ : ٣) ٠ وفى بداية الكنيسة الأولى تركت مريم أم مرقس الرسول بيتها ليكون أول كنيسة يجتمع فيها المؤمنون و يصلون ٠ كذلك ذكر لنا القديس بولس الرسول عن اكيلا و بريسكلا " " و الكنيسة التى فى بيتهما " (رو ١٦ : ٥) ٠ و أيضاً الكنيسة التى كانت فى بيت نمفاس (كو ٤ : ١٥) ٠ و شرح لنا التاريخ الخدمات العديدة التى كان يقوم بها المعلم ابراهيم الجوهرى و أخوه المعلم جرجس للكنائس و الأديرة ٠٠

ربما أناس لا يخدمون القرى ، لكنهم يتبرعون بعربة تنقل الخدام إلى هذه القرى ٠

أو يدبرون المكان ، أو يعدون المكان للخدمة ٠ أو أن يشتروا الأناجيل و البشائر و الأجابى ،و الصور و الجوائز ، ما يوزعه الكاهن من صلبان و أيقونات ٠ أو يهتمون بالعمل الإدارى للاجتماعات ٠ كأن يقومون بكتابة أسماء الحاضرين ، أو يعدون كشوف الغائبين لافتقادهم ، وما إلى ذلك من الخدمات التى تبدو بسطة و لكنها لازمة و نافعة ٠

* * *

على الأقل هناك من يقومون بخدمة الصلاة من أجل الاجتماعات و نجاحها ، و المشاكل و حلها ٠

وقد تكون لصلواتهم استجابة أكثر نفعاً من خدمة الكلمة ، و تقتدر كثيراً فى فعلها ، وتكون هى الخدمة المخفية التى تقوم على أساس الخدمة الظاهرة ٠ المهم يا أخى أن تخدم ٠٠

شروط الخدمة الناجحة

هلكوا فى الخدمة :

ليست كل خدمة واسطة روحية ، فهناك من هلكوا وهم فى محيط الخدمة ، أو سقطوا و تعبوا ٠٠

مثال ذلك الإبن الكبير الذى لم يفرح برجوع أخيه الضال ، ورفض أن يدخل البيت و لما خرج إليه أبوه يتوسل إليه ، قال لأبيه " ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك ٠ ولم تعطنى قط جدياً لأفرح مع أصدقائى ٠٠ " (لو ١٥ : ٢٨ – ٣٠)

كان فى الخدمة سنين هذا عددها ، ومع ذلك كانت مشيئته غير مشيئة الآب ، ولم يكن قلبه صافياً من جهة أخيه ٠

مثال آخر هو بعض ملائكة الكنائس السبع :

على الرغم من أنهم كانوا رعاة للكنائس ، إلا أن واحداً منهم قال له الرب " إن لك إسماً أنك حى و أنت ميت " (رؤ ٣ : ١) ٠ كما قال لآخر " لأنك فاتر ، و لست حاراً ولا بارداً ، أنا مزمع أن اتقيأك من فمى " (رؤ ٣ : ١٦) ٠ و قال لثالث : " أنك تركت محبتك الأولى ٠ فاذكر من أين سقطت و تب " (رؤ ٢ : ٤ ، ٥) ٠ وذكر الرب لكل هؤلاء أسباباً جعلتهم – وهم فى قمة الخدمة – فى حاجة إلى توبة

وآخرون من مساعدى بولس الرسول هلكوا تماماً٠

أولئك الذين قال عنهم " لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح ، الذين نهايتهم الهلاك ٠٠ ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات " (فى ٣ : ١٨ ، ١٩) ٠ ولعل من أمثلة هؤلاء أيضاً ديماس ، الذى ذكره الرسول فى إحدى المرات قبل القديس لوقا (فل ٢٤) ، يعود الرسول فيقول عنه " ديماس قد تركنى ، إذ أحب العالم الحاضر " (٢تى ٤ : ١٠) ٠ كل هؤلاء ضاعوا ، و غيرهم سقط وتاب ٠

ولم تكن الخدمة هى سبب ضياعهم ٠ ولكنهم نسوا روحياتهم فى مجال الخدمة ٠ فسقطوا و بعضهم هلكوا ٠٠

إذن يمكن أن تكون الخدمة واسطة روحية ٠ ويمكن أن يسقط الإنسان فيها أو يهلك ، إن لم يسلك بطريقة روحية ٠ فما هى إذن شروط الخدمة الروحية ؟

الحب :

تحب الله ، و تحب الملكوت ، وتحب الناس ٠

و المحبة تولد محبة ٠ أما إذا كنت تخدم وفى نفسك ضيق و تبرم ، وإن كنت تعطى مضطراً وفى النفس تذمر ، فهل تظن أنك تستفيد روحياً ؟!

يحدث أحياناً أن بعض الناس يبدأون الخدمة و ليس لهم الهدف الروحى السليم ٠ ولكنهم حينما يرون احتياجات المخدومين ، و يلاحظون آلامهم وضيقاتهم ، يتحرك فى قلوبهم العطف عليهم و الاشفاق فيخدمونهم بقلب محب ٠ و تكون هذه المحبة نتيجة للخدمة وليس سبباً ٠ وتبدأ المحبة تمتزج بخدمتهم ، وتعلمهم كيف يخدمون بعاطفة ٠

أشخاص يخدمون الفقراء ٠ ثم يجدون أن طلاب الحاجات يلجأون فى طلبهم إلى الكذب و الاحتيال ، أو يمتزج طلبهم بالحاح متعب ، أو بضجيج وعلو صوت ٠٠ فيتبرمون بهم ، قد يطردونهم ويقسون عليه ٠٠

أما القلب المحب ، فإنه يحتمل متاعب هؤلاء ٠٠ لأن المحبة تحتمل كل شئ (١كو ١٣ : ٧)

فإن خدمت ، ووجدت أن أعصابك بدأت تتعب فى الخدمة ، و أنك بدأت تحتد و تشتد ، و على الفقير إذا كذب و احتال ، أو على التلميذ إذا عاند و شاغب ، أو على الذين يفقدون النظام فى الاجتماعات ٠ فاعرف أن فى داخلك شيئاً يحتاج إلى علاج ، و أن الخدمة قد كشفت فى نفسك عيباً كيما تصلحه ٠

* * *

لا تقل إن العيب فى الخدمة ، إنما فيك ٠٠

قل لنفسك : ينبغى أن أوسع صدرى ، و أن أطيل بالى ، و أن أحتمل غيرى مهما أخطأ ٠ و أن أضرب لهم باحتمالي مثلاً يقتدون به أو أن تقول : لقد كشفت لى الخدمة أن هؤلاء الفقراء ، ليسوا فقط فى حاجة إلى مال يسدون به أحتياجاتهم ، إنما هم أيضاً فى حاجة إلى عمل روحى يقودهم إلى التوبة و معرفة الله و إلى السلوك ٠٠ و هكذا تبدأ فى عمل روحى معهم ، حتى معهم ، حتى يستفيدوا من الخدمة مادياً وروحياً ٠٠

ونفس الوضع مع التلاميذ المشاغبين ، ومع الذين لا يحفظون النظام فى الاجتماعات ٠٠

إذن شروط الخدمة الروحية أن تمتزج بالاحتمال ٠

الاحتمال :

كل خدمة فيها متاعب ٠ وكل خادم – كما قال الرسول – سيأخذ أجرته بسبب تعبه ((١كو٣ : ٨) ٠ و آباؤنا الرسل تعبوا كثيراً فى خدمتهم ٠ يقول القديس بولس الرسول عن خدمته هو وزملائه ف الخدمة "بل فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام لله فى صبر كثير ، فى شدائد فى ضرورات ، فى ضيقات فى ضربات فى سجون ، فى اضطرابات فى أتعاب ، فى أسهار فى أصوام ٠٠ بمجد و هوان ، بصيب حسن وصيت ردئ " (٢كو٦ : ٤ – ٨) ٠

ويقول أيضا " مكتئبين فى كل شئ ، لكن غير متضايقين ٠ متحيرين لكن غير بائسين ٠ مضطهدين لكن غير متروكين ، مطرحين لكن غير هالكين " (٢كو٤ : ٨ ، ٩) ٠ و يشرح الرسول أمثلة من المتاعب إلى احتملها فى (٢كو ١١: ٢٣ – ٢٩) ٠ يكفى قوله " فى الأتعاب أكثر " ولكنه إحتمل كل هذا ، و اكتسب أكاليل من الاحتمال ٠

وكما نذكر بولس الرسول نذكر كثيرين من شخصيات الكتاب ٠

مثال ذلك العذابات التى تحملها القديس يوحنا الإنجيلى مع نفيه إلى جزيرة بطمس ، حيث كتب سفر الرؤيا وفى أوله " أنا يوحنا أخوكم و شريككم فى الضيقة " (رؤ١ : ٦)٠ كذلك دانيال النبى وكيف ألقوه فى جب الأسود " (دا ٦) و الثلاثة فتية والقاؤهم فى أتون النار (دا ٣) ولا ننسى قول السيد المسيح لتلاميذ " ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب " (مت ١٠ : ١٦) " سيسلمونكم إلى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم ٠ و تساقون أمام ملوك وولاة من أجلى ٠٠ و تكونون مبغضين من الجميع من أجل أسمى (مت ١٠ : ١٧ ، ٢٢) ٠ و الرسل احتملوا كل هذا و صبروا ٠

* * *

و الصمود يمنح الخادم قوة روحية من الرب ٠

يمنحه قوة فى الرجاء فلا ييأس ٠ كما يقويه أيضاً فى الرجاء ، مؤمناً أن الرب لابد سيتدخل ويصلح كل شئ ٠ و هكذا ينال فضيلة أخرى هى انتظار الرب ٠ كما قال المرتل فى المزمور " إنتظر الرب ٠ تقو و ليتشدد قلبك و انتظر الرب " (مز ٢٧ : ١٤) ٠ و هكذا قال فى خبراته الروحية أيضاً " انتظرت نفسى الرب من محرس الصبح حتى الليل " (مز١٣٠) نقطة أخرى تميز الخدمة و تسبب نجاحها و هى :

اهتم أن تكون خدمتك روحية وعميقة ٠

روحانية الخدمة

كثير من الناس خدمتهم مجرد نشاط يستهلك كل طاقاتهم : هم عبارة عن شعلة متحركة من الأنتاج و العمل ، و لكن بلا روح ٠ مثل هذه الخدمة لا تفيدك روحياً ، لأن الله لا نصيب له فيها ٠٠ بل كثيراً ما يحدث أن هذا النشاط الحركى المتزايد ، يعطل فى مشغولياته العمل الروحى٠

متجد مثلاً أميناً لمدارس الأحد ، له طاقاته الواسعة من جهة تطبيق المناهج ، وكراسات التحضير ، و اجتماعات الخدام ، و اجتماعات الشباب ، و المكتبة و النادى ، و النشاط الصيفى ٠٠ و تساله عن نفسه وروحياته ، فلا يجد لها وقتاً ٠ فتفتر حياته ، و بالتالى تفتر أيضاً خدمته ، وتجدها مجموعة ضخمة من التنظيمات ، بلا روح ٠ لا تفيد حياته و لا تفيد الآخرين ٠٠

* * *

و تتحول الخدمة إلى أمور إدارية بحته ٠

وربما يحدث هذا الأمر أيضاً بالنسبة إلى الخدمة الاجتماعية ، و إلى خدمة الملاجئ و المسنين ، و المغتربين ، ومجالس الكنائس ٠٠ وفى هذا العمل الإدارى قد تكثر المناقشات و المجادلات و الضجيج و الصياح ٠ وربما المنافسات أيضاً و الحزبيات ٠ وفى هذا كله تضيع روح الخادم ٠ لأن الخدمة لم تتسم بالطابع الروحى ٠ ولم يكن الله شريكاً فيها ٠ ولم تدخل فيها الصلاة و لا التنفيذ العملى للوصية ٠

حاول إذن فى كل خدمة تخدمها ، أن تبعد عن الروتين و الشكليات ، و أن تدخل الله فيها ، ويكون لها الطابع الروحى ٠٠ حتى فى الأعمال الإدارية فلتكن لها " روحانية الإدارة " ٠ وهذه عبارة تحتاج منا إلى موضوع خاص يشرح تفاصيلها ٠٠

فرق كبير بين رجل الله حينما يدير ، و أهل العالم فى إدارتهم ٠

* * *

إذن فى خدمتك ، ابعد عن الأخطاء الروحية ٠

إبعد عن أسلوب الأمر و النهى ، وليكن لك روح الأتضاع و أدب التخاطب مع الصغير كما مع الكبير ٠ ومهما أوتيت من سلطة فى الخدمة ، لا تكلم الناس من فوق ولا تتعال على أحد ، ولا تدخل إلى قلبك روح السيطرة و التسلط ٠ وتذكر قول الرب " أكبركم يكون خادماً لكم ٠ لأن من يرفع نفسه

يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع " (مت ٢٣ : ١١) ٠ وأيضاً " إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم ، بل ليخدم ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مت ٢٠ : ٢٨) ٠

لذلك لا تجعل الخدمة تفقدك وداعتك وتواضعك ٠

إن وجدت صوتك بدأ يعلو ويحتد فى الخدمة ، لابد أن تحترس و تراجع نفسك ٠ وإن وجدت أنك بدأت تتحدث عن نفسك وما تفعله من أمور عظيمة ، إحترس أيضاً لئلا شيطان المجد الباطل يحصد كل ما زرعته فى الخدمة ٠ وإن نظرت باحتقار إلى غيرك ، مقارناً بين مستواه و مستواك ، فاعرف أن الكبرياء قد دخلت إلى نفسك ٠٠ ضع أمامك إذن قول الرسول " لاحظ نفسك و التعليم وداوم على ذلك ٠ فإنك إن فعلت هذا تخلص نفسك و الذين يسمعونك أيضاً " (١تى ٤ : ١٦) ٠ قل لنفسك باستمرار : أنا ما دخلت إلى الخدمة لكى أقع فى خطايا جديدة ، إنما لكى أنمو روحياً

* * *

فى الخدمة أيضاً إحترس من الذات ال Ego ٠

لا تجعل الخدمة وسيلة لكى ترتفع بها أو تبنى كرامتك ٠ فأتت فيها مجرد خادم للرب ، تقول عنه كما قال القديس يوحنا المعمدان " ينبغى أن ذلك يزيد ، وأنى أنا أنقص " (يو ٣ : ٣٠) أو كما قيل فى المزمور " ليس لنا يا رب ليس لنا ٠ لكن لاسمك القدوس أعط مجداً" (مز ١١٥ : ١)

احترس من انذار الرب للرعاة الذين يرعون أنفسهم (خر ٣٤ : ٨ –١٠) ٠

وليكن هدفك هو ملكوت الله ، و خلاص الناس ٠٠ و ليس نفسك و كرامتك ٠

الخدمة المفيدة روحياً ، هى التى تنسى فيها كلمة أنا ٠

كثيرون دخلوا فى الخدمة ٠ وبعد حين بدأوا يهملون أنفسهم ، و ينشغلون بتدبير الخدمة ، ثم يصطدون بالكنيسة ، و كاهن الكنيسة ، و مجلس الكنيسة ، و العاملين فى الكنيسة ٠ و يتحدثون عن تصرفات هؤلاء وأولئك ، وما يفعلونه من خطأ ومن صواب ، ويركزون على الخطأ ! وتصبح أخطاء الأخرين ، أو ما يظنونها أخطاء ، هى موضع حديثهم الدائم وإدانتهم المستمرة ٠ بل يتحواون من الإدانه إلى التشهير ، و يفسدون عقول غيرهم ٠

و العجب أنهم يغطون كل ما يقعون فيه من إدانة و تشهير ، بتبرير هو الدفاع عن الحق !!

وباسم الدفاع عن الحق يقعون فى خطايا لا تحصى ٠ و يدخلون فى خصومات و انقسامات ٠ ولكى ينتصروا فى حروبهم ، يحاولون أن يكسبوا أكبر عدد ممكن ينضم إليهم فى الإدانة و التشهير ٠ و يتعكر جو الخدمة ، و يفقد روحانية ، يفقد روح المحبة ، و يفقد الوداعة و البساطة !! و هل كل هذا من أجل الدفاع عن الحق ؟! دون أن يسأل أحد نفسه : هل من حقى أن أفعل كل هذا ؟ ودون أن يسأل نفسه : هل هذا هو الأسلوب الروحى الذى أدافع به عن الحق ؟! ما أكثر الذين ضاعوا واضاعوا غيرهم ، و هم فى الخدمة !!

* * *

لكى تنتفع روحياً ، إهتم فى خدمتك بالعمل الإيجابى و ليس بالسلبيات ٠

دع امامك المثل الذى يقول " بدلاً من أن تلعنوا الظلام ، أضيئوا شمعة " ٠ كن قدوة للكل ، وثق أن هذه فى حد ذاتها رسالة وخدمة ٠٠ واعرف أن العمل الإيجابى البناء هو الباقى على الدوام ، ولا بنتقدك فيه أحد ، ولا تخطئ فيه إلى أحد ٠ أما الإنشغال بالسلبيات ، فإن يتعب فكرك وروحك ٠ وربما تصل به إلى أسلوب الهدم و يوقعك فى خطايا كثيرة ٠

* * *

أليس الأفضل لك أن لا تخدم ، من أن تخدم بأسلوب يوقعك فى الخطية ؟!

و تصبح فيه عثرة لغيرك ٠ وقد قال الرب " ويل لمن تأتى بواسطته العثرات " (لو ١٧ : ١) ٠

* * *

مكتبة كتب قداسة البابا شنوده الثالث

شخصيات

١-آدم و حواء / قايين و هابيل .
٢-موسى و فرعون .
٣-يونان .
٤-مارمرقس.
٥-الأنبا أنطونيوس .
٦-القمص ميخائيل إبراهيم

عن الميلاد إلى القيامة

٧-كيف نبدأ عاماً جديداً .
٨-تأملات فى الميلاد .
٩-من وحى الميلاد.
١٠-روحانية الصوم.
١١-تسبحة البصخة.
١٢-أسبوع الآلام.
١٣-خميس العهد.
١٤-الجمعة الكبيرة.
١٥-كلمات المسيح على الصليب .
١٦-تأملات فى القيامة .

صلوات

١٧-صلاة الشكر و المزمور الخمسين
١٨-مزامير الغروب.
١٩-يستجيب لك الرب .
٢٠- يارب لماذا
٢١-سبحوا الرب

كتب روحية

٢٢-إنطلاق الروح
٢٣-حياة الشكر.
٢٤-حياة الإيمان .
٢٥-معالم الطريق الروحى
٢٦-الوجود مع الله.
٢٧-الله وكفى .
٢٨-الهدوء .
٢٩-مقالات روحية (الجمهورية)
٣٠-الدموع.
٣١-العظةعلى الجبل .
٣٢-خبرات روحية ج١
٣٣-الرجاء.
٣٤-الروح القدس
٣٥-الإنسان الروحى
٣٦-سلسلة الوسائط الروحية

الحروب الروحية

٣٧-حروب الشياطين
٣٨-الحروب الروحية
٣٩-الغضب
٤٠-الإدانة

لاهوت وعقائد

٤١-الزوجة الواحدة
٤٢-الخلاص
٤٣-بدعة الخلاص فى لحظة
٤٤-المطهر
٤٥-الكهنوت
٤٦-لاهوت المسيح
٤٧-طبيعة المسيح
٤٨-اللاهوت المقارن

الوصايا العشر

٤٩-الوصايا العشر
٥٠-الوصايا الأربع الأخيرة
٥١-إكرم أباك وأمك
٥٢-لا تقتل .

كلمة منفعة

٥٣-الجزء الأول
٥٤-الجزء الثانى
٥٥-الجزء الثالث
٥٦-الجزء الرابع

حياة التوبة

٥٧-حياة التوبة و النقاوة
٥٨-اليقظة الروحية
٥٩-السهر الروحى
٦٠-الرجوع إلى الله

سنوات مع أسئلة الناس

٦١-الجزء الأول
٦٢-الجزء الثانى
٦٣-الجزء الثالث
٦٤-الجزء الرابع
٦٥-الجزء الخامس
٦٦-الجزء السادس

الخدمة

٦٧-التلمذة
٦٨-الغيرة المقدسة
٦٩-كيف نعامل الأطفال
الكتاب المقبل
٧٠-خبرات روحية ج٢

فهرست الكتاب

	صفحة
المقدمة	٥
الباب الأول : الصلاة : ما هى ؟ وكيف تكون؟	**٧**
شروط الصلاة المقبولة وتداريب على الصلاة	١٥
الباب الثانى : الكتاب المقدس	**٢٣**
أهمية الكتاب	٢٤
اهتمام الكنيسة به	٣٠
علاقتك بالكتاب : اقتناؤه ، محبته	٣٣
المداومة على قراءته	٣٤
القراءة بخشوع	٣٥
القراءة بفهم	٣٦
حفظ آيات الكتاب	٣٨
التأمل فيه - القراءة بروح الصلاة	٣٩
تأثير الكتاب المقدس	٤١
عمله فيك	٤٣
استخدامك للكتاب	٤٦
تداريب لحفظ الكتاب	٤٧
الكتاب فى بيتك	٤٨
الباب الثالث : قراءة سير القديسين	**٤٩**
التأثير الأول : القدوة	٥٣
التأثير الثانى : تقوية الإيمان	٥٤
التأثير الثالث : غرس مشاعر الاتضاع	٥٥
التأثير الرابع : تعطينا الحكمة و الإفراز	٥٦
التأثير الخامس : دوام النمو	٥٧
أمور أخرى	٥٧
الباب الرابع : التأمل	**٥٩**
التأمل فى الكتاب	٦١
التأمل فى الطبيعة	٦٧
التأمل فى الأحداث	٧١
التأمل فى الصلاة	٧٢
التأمل فى الموت - فى صفات الله	٧٣
موضوعات أخرى	٧٤
الباب الخامس : التداريب الروحية	**٧٥**

فوائد التداريب الروحية ٧٦
الله درب قديسيه ٧٧
نصائح - دلائل التداريب ٧٩
كراسة التدريبات ٨٣
الباب السادس : محاسبة النفس ٨٥
أهمية محاسبة النفس ٨٦
كيف تحاسب نفسك ٨٧
متى تكون المحاسبة ٩٢
الباب السابع : الاعتراف ٩٣
عناصر الاعتراف ٩٤
مشاعر المعترف ٩٦
الاعتراف ودم المسيح ٩٨
نصائح للمعترفين ١٠٠
الباب الثامن : التناول ١٠٣
أهمية التناول و فائدته ١٠٤
الثبات فى الرب - الخبز الحى - تطعيم ١٠٤
هو عهد مع الله ١٠٥
الاستعداد للتناول ١٠٦
الباب التاسع : الصوم ١١٣
فوائد الصوم و أهميته ١١٤
الصوم الروحى المقبول ١١٧
امتزاج الصوم بالفضائل ١٢٠
الباب العاشر : العطاء وشركة الله فى أموالنا ١٢٣
تطويب العطاء ١٢٤
كيف نعطى؟ ١٢٧
أمثلة ١٣٠
شركة الله فى أموالنا ١٣١
العشور ١٣٢
البكور ١٣٥
النذور ١٣٧
القرابين ١٣٨
الباب الحادى عشر : الخدمة وشروطها الناجحة ١٤١
أهمية الخدمة وعموميتها ١٤٢
أنواع من الخدمة ١٤٣
فوائد الخدمة روحياً ١٤٥
خدمة غير ظاهرة ١٤٨
شروط الخدمة الناجحة ١٤٩
مقدمة : من هلكوا فى الخدمة ١٤٩
الحب ١٥٠
الاحتمال ١٥١

روحانية الخدمة ١٥٢
كتب صدرت لقداسة البابا ١٥٦